دراسات في النبوات

الدكتور
مبروك عبد العزيز عبد السلام
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

Scanned with CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمدﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فما أنبل أن يدعوني فكري وقلمي لأسير بهما في خطى الأنبياء والمرسلين" **صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين**" مستحضراً **قضية النبوات** التى كانت وما تزال وستظل غاية تتعلق بها همم الباحثين مشدودين إلى أشرف الخلق وكمال البشر واعرف الناس بالله

فالقضية هى المحور الأصيل لربط السماء بالأرض ، وفيها يجد رواد الفكر وطلابه مقاصد تستوعب خلاصة التجارب البشرية فى أعظم حياة عرفتها الإنسانية – حياة المرسلين –

وقبل أن ننطلق خلال موضوعات بحثنا لننتقى من روائع الفكر فرائد يلتقى عندها طلاب العقيدة وعشاق الفكر فى دراسة أكاديمية نرجو لها أن تؤتى ثمرها وتحقق الغاية المنشودة منها

نقول : إن موضوعا كهذا الموضوع – **النبوات** – عرضة للتشعب والتطويل كيفما تناوله الباحث ومن أي جانب تحراه، فلابد فيه من إيجاز ولابد فيه من اكتفاء غير أننا تحرينا الإيجاز وتحرينا معه أن يغنينا فيما قصدناه، وذلك بالإلمام بأهم موضوعات بحثنا .

والموضوع يتطلب قبل كل شيء أن يكون الباحث ملما بعلم التوحيد إلماماً طيبا.

مدراكا للإلهيات والنبوات والسمعيات إدراكاً واضحاً ، ومع ذلك فالواجب أن يكون قد قرأ التفسير والحديث قراءة مستفيضة ومركزة – لأن السنة قاضية على

Scanned with CamScanner

الكتاب كما يقول الشاطبي وذلك ليستطيع أن يتابع الآيات والأحاديث فى قضـــايا بحثنا

وإن عملية استخلاص المعلومات من كتب التفسير والحديث عملية شـــاقة وبحاجة إلى أزهرية صميمة بخصائصها التي تمتاز بها وهي الذكاء والمثـــابرة، والمقدرة الفائقة على إدراك النصوص وفهم ما تشاكل منهـــا، وأعتقـــد أن هـــذه الأزهرية بخصائصها موجودة لأننا لا ننتقل من العقيدة إلى سواها مـــن العلـــوم الأخرى التفسير والحديث و ... إلخ ولكن ننتقل معها إلى غيرها مـــن العلـــوم. وهذا فرق يجاوز مجرد الشكل إلى صميم الموضوع. أضف إلى ذلك أننا ننطلق من ثقافة فلسفية إسلامية راسخة وقواعد منطقية وطيدة. لهذا كله تجد المتخصص في هذا العلم – العقيدة ومقارنة الأديان – يكتب بعين الناقد وعقل المفكر فيطرق أبواب الفكر حرا غير محجم عن معضلة ولا منقاد لفكرة متحكمة فيختار فيمـــا يأخذه ويختار فيما ينبذه لأنه يحكم وفي يده الميزان – العقيدة – .

ونستطيع بعون الله وتوفقيه أن نجاذب موضوعات بحثنا بمنطقنا الواضح ، وأن تكون لدينا ملكة التنظيم والبحث وحســـن العـــرض، وكيفيـــة الســـير فـــي الموضوع سيراً يصل به إلى غايته.

وفي سبيلنا لهذا نقول:

على الساحة الثقافية يتقابل مفكرون وعلماء وأدباء في ملتقـــى الأضـــداد موزعو الانتماء بين شتى المدارس المتنافرة والمـــذهبيات المتنـــاكرة والـــنظم المتناحرة وفي هذا المعترك الصاخب أحيانا والهادئ أحيانا أخرى تضل الرؤى أو تهتدي لكنهم يلتقون عند نقطة التقاء مشتركة وهي:

الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الاخر، والقضاء والقـــدر خيـــره وشره.

والإيمان برسله تعالى يقتضي الإيمان بعصمتهم لأنهم جميعا. صفوة الخلق، وكمال البشر، وأعلم الناس بالله. فقد سلك كل أنبياء الله ورسله طريق الله في جميع أمره، ونهيه وكانوا قدوة لغيرهم بما تمثلته أخلاقهم الكريمة عفة، وورعا، وتقوى، وحزما.

ولعل من أسباب اختياري لهذا الموضوع – النبوات– أن التطرف الديني الغربي يوشك أن يكون كما أراد له أولو المآرب وذوو المصالح للطعن في عصمة الأنبياء، وكأن حياة الجاهلية قد عادت بهؤلاء وأولئك – من أعداء الإسلام – سيرتها الأولى في عدائهم لأصحاب الرسالات السماوية قال تعالى ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ [١]، ولأن الرسالات ختمت بأشرف الخلق قاطبة سيدنا محمد ﷺ فقد قام بكل بقعة في الغرب مليك وصاح فوق كل غصن ديك للسباب فيمن أدبه ربه فأحسن تأديبه ويساورني الضيق لأن السباب موجه في جله لخاتم المرسلين ﷺ فوالله ما أدري ماذا أقول وقد أجهدني النظر في سبب سبابهم لأشرف الخلق فأراه مبهم الدروب معقد المسالك غامض المرامي والغايات.

ووسائل الإعلام تقوم بنشر السباب لأشرف الخلق مدعية أنها تقوم بدور تسمية التنوير ولكنه في حقيقة أمره برق يخطف الأبصار ويعمي البصائر.

قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٢].

ولهذا كنا مطالبين بأن نبدأ الفجر مع الذين بدأوه حتى لا يتشابه الأمر على

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠.

(٢) سورة الأنفال آية ٢٧.

غيرنا في آخره، وغاية ما نملكه أن يتجه نظرنا إلى **قضية النبوات** لنثبت للبشرية جمعاء عصمة الأنبياء والمرسلين، وإننا لنطمع في زماننا البائس أن نبلغ ذلك المستوى العالمي لنشر عصمة الأنبياء على وسائل النشر الحديثة التي تنشر للغرب طعونة في أكمل خلق الله محمد ﷺ.

ولا أقول بشذوذ ظاهرة فقدان التعاصر بين أبناء جيلنا بل أقول بالفراغ السحيق بيننا وبين التيارات الأجنبية التي تجتاح الحمى المستباح لا تصدها حواجز أو سدود.

فهل يشق علينا والعالم يتربص بنا الدوائر أن لا ننسى في غربتنا الثقافية وتطرف الغرب الفكري أننا نواجه معركة وجود ومصير ؟ !

واتل من آيات ربي "جل وعلا" ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

فإلى حملة هذه البذرة الخبيثة – الطعن في عصمة الأنبياء – من غزاة الفكر الذين ألحوا على الوجدان العام الإسلامي بهذه الفكرة الشائهة ينسفون بها عما يرهقهم من عداوة المرسلين الذين صدق فيهم قوله ﷺ: **"لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذب لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما"**[2].

وهذا الحديث عموم مطلق للمرسلين أجمعين إلا أن تقييد خصوصية الحديث

---

(1) سورة آل عمران من آية ١٣٧ : ١٣٩.

(2) ذكره الأمام السيوطي في الدر المنثور فى التفسير بالمأثور عند تفسير قوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " التوبة ١٢٨ . ٣٢٧/٤ طبعة دار الفكر وعزاه لأبي نعيم في الدلائل عن ابن عباس .

Scanned with CamScanner

يصريح اللفظ قرينه للمرسلين بدلالة السياق ومقتضى الحال.

ولأن حرية التعبير لا تتناول أموراً خمسة هي:

١- الله ٢- الأنبياء - الكتب ٤- والشعائر ٥- والشرائع

وهذا ميثاق شرف اتفق عليه مفكرو العالم .

ولكن أعجب ما شئت وما شاءت لك الحقيقة من عجب أن يتناول " كاتب سورى " حيدر حيدر إمام المرسلين ﷺ بما لا يتفق والقول بعصمته وذلك في قصته "**وليمة لأعشاب البحر**"(١) ثم يعلق على ردود الأفعال الغاضبة لعلماء الأزهر الشريف وطلابه بقوله: إن ذلك أفضل دعاية لقصتى !!

أضف إلى ذلك سليمان رشدي في قصة " **آيات شيطانية** "(٢) وغيرهم. أما سباب إمام المرسلين ﷺ عند مجرمى الغرب - كما وصفهم القرآن الكريم - فكثيرة لا يسع المقام لذكرها وكنا نظن أن أخرها الصور المسيئة للخاتم ﷺ في الصحيفة الدنمركية ولكن الأمر يتجاوز هذا النوع المؤسف من الإعلام يتجاوزه إلى درجة أن يعلن " بابا الفاتيكان " " بينديكت السادس عشر " :

(أن الدين الإسلامى لا يدين العنف والإرهاب . وأن محمد ﷺ اتى بكل ما هو سيء وشرير . وأن الدين الإسلامى انتشر بالسيف)(٣)

والمعروف عن بينديكت السادس عشر بعد هذا القول انه مزيف للحقائق

---

(١) وليمة لأعشاب البحر : المؤلف حيدر حيدر . عدد الأجزاء "١" سنة النشر ٢٠٠٠م ، طبعة رقم ٧ ، الناشر دار ورد للطباعة والنشر .

(٢) آيات شيطانية : المؤلف سلمان رشدى كاتب بريطانى من أصل هندى صدر فى لندن بتاريخ ٢٦/ ٩ / ١٩٨٨م

(٣) صوت الأزهر . مقالة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى بعنوان حوار هادئ مع قداسة بابا الفاتيكان الجمعة٤ من شهر شوال سنة ١٤٢٧ هـ . ٢٧ من أكتوبر سنة ٢٠٠٦

ووضاع وإذا كان الأمر قد وصل إلى هذا الحد فمعنى ذلك أن بينديكت السادس عشر الذى كان من المفترض أن يكون حصينه للفكر الحر كسلفه يقع الآن تحت ضغوط "بوش " و بلير وغيرهما وهى ضغوط تستهدف تحويل الفكر إلى السياسة وقد نجحت وتخلى " بينديكت " عن أبسط المبادئ الأخلاقية بل تخلى عن الفكر الحر وأصبح تابعاً إلى حيث يراد له

ولكن ما ضر بحـــر الفرات يومـــا أن خاض فيـــه بعض الكلاب

على آية حال فإن ردود الأزهر الشريف الذي أبرزته وسائل الإعلام كان له أبلغ الدلالة في وقف هذا الهجوم على الإسلام بل وإعتذار الحكومات. وهذا واجـــب الإنصاف وحق الإعتراف قال تعالى ﴿ فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾ (١)

وإننا لنعلم أن الذين يسبون أنبياء الله ورسله عدوا بغير علم ليست فـــيهم نخوة الرجولة ولا شرف الأخلاق، ويكفينا فيهم قول الشاعر:

وأول خبث المـــاء خبـــث ترابـــه وأول خبث القوم خبث المناكح

ولم تهزني مقالات وكتابات رجال الغرب الذين صـــوبوا ســـهام الـــنقض والهدم لأشرف الخلق فلم يضروا هذا الجبل الأشم ودعهم ينطحون فلن يضيروا سوى أنفسهم فقد صدق فيهم قول الشاعر:

كناطـــح صخـــرة يومـــا ليوهنها فلم يضرها وأوهي قرنه الوعل

وقهر رجال الغرب من أنبياء الله ورسله أخذ منهم كل مأخذ فلم يكتمـــوه وصرحوا بسبابهم دون أدنى حياء أو خجل لأنهم أبناء وحفدة قتلة الأنبياء. قـــال تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُـــكُمُ اسْـــتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقـــاً كَـــذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾(١).

---

(١) سورة الطارق آية ١٧.

وعبر هذه المناسبة التي منحناها حجمها الحقيقي شكلا ومضمونا أجد الفرصة مواتية للتواصل مع آيات القرآن الكريم في حوار عميق يكشف لنا خريطة عقل ووجدان الذين أجرموا. قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾[1].

ولكن لئن كنا نشكو سبهم لأفضل الخلق فعطاء رسله موصول ونقرأ طعونهم ونور أنبيائه وضاح، ونضيق بقبح رجال الغرب وشذى أحاديثهم "صلوات الله عليهم أجمعين" زكى، ونختنق من عباراتهم وملاذ أنبيائه "جل وعلا" رحب، ونئن من وسائل الإعلام الغربي ولنا في هديهم "صلوات الله عليهم أجمعين" شفاء لصدورنا وبلسم لجراحنا، ونتعثر في مشتبهات الظنون وحائر الدروب ومبهم المسارب والأنفاق، وسنا نورهم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" يهدي السائرين في الظلمات.

لم يبق غير أن نعلن أن البحث جاء في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة: ألقينا الضوء فيها على أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

الفصل الأول: جاء بعنوان حاجة البشر إلى النبوة

فصلنا القول فيه عن معنى الوحى ، وأنواعه ، وإمكانه ، ودليل وقوعه . وعن النبوة لغة واصطلاحا ورأى أهل السنة والفلاسفة، والفرق بين النبي والرسول وحكم إرسال الرسل ، وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقهم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين".

الفصل الثاني: جاء بعنوان "المعجزة"

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٧.

(٢) سورة المطففين آية ٢٩.

تحدثنا فيه حديثا مفصلا عن معنى المعجزة، وشروطها، وأنواع الخوارق وإمكانها وفائدتها ووجه دلالتها.

واستدرجتنا المناقشة لبحث بعض معجزات الأنبياء والمرسلين "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" لأنه يكفي لمعرفتها الرجوع إلى القرآن الكريم الذي يجد فيه قارئه النص الواضح ، والزاد الكافي لهذه القضية.

الفصل الثالث: جاء بعنوان "عصمة الأنبياءوالمرسلين "

وقد حرصنا فيه كل الحرص أن تكون هذه الدراسة من خلال وجهات النظر المفصلة الجوانب الواضحة الدليل وكان لنا مع كل رأى وقفة تناسب طبيعته فى التحليل والتعليل لكشف مساتيرة وجلاء غوامضه لنحصل فى النهاية على الرأى السديد والقول المرضى .

ونرجو أن نكون قد وفقنا إلى وزن الأفكار بميزان العدل والإنصاف ، ولعل ما بقى من موضوعات بحثنا أضعاف ما ذكرناه لكن السعى وراء الحقيقة لا يزال موصولا وندعو الله تعالى أن يوفقنا فى إخراج شبه أصحاب الملاحظات الشكوكية الطاعنين فى عصمة الأنبياء الذين خالفوا فى شبههم لأشرف الخلق صريحاً فى كتاب الله لا يقبل التأويل واضحا لا يحوم حوله اللبس أكيداً لا يحتمل الشك . وبوحى من هذه الشبه وما يلزمها من حيطه وحذر ويقظة وإنتباه دللنا على عصمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بأدلة إجمالية تحدد للباحثين الهدف الذى يجب أن يتجهوا نحوه

ونسأل الله تبارك وتعالى السداد فى القول والعمل راجيا منه " جل وعلا "

أن يوفقنا فى إخراج الشبه الموجهة للأنبياء والمرسلين مفصلة الجوانب واضحة المعالم وأن يجعل هذا البحث فاتحة أعمال نؤدى بها حق العلم وواجب الفكر الإسلامى فمنه الهداية وبه التوفيق .

Scanned with CamScanner

أما الخاتمة: فقد أتينا فيها بما وصلت إليه الطاقة وما زادنا فيه النظـر والفكـر والمطالعة في بحثنا. ولقد أفرغت في إعداد هذا البحث كل طاقتي وبذلت فيه كل جهدي حتى جاء على هذه الصورة التي سيراه عليها القارئ . وقد حرصت على أن يأتي وحدة ملتئمة بحيث يصح أن يكون فصلا واحدا مقسما إلى فقرات أو باباً واحداً موزعا إلى فصول لشدة تماسكه وارتباطه ولا يسعنا إلا أن نحمد الله تعالى الذي وضع أمام إرادتنا الإنسانية تلك الغاية السامية

– قضية النبوات – وأعاننا عليها.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (١)

---

(١) سورة آل عمران آية ٨.

الفصل الأول

حاجة البشر إلى النبوة

ويشتمل على :

١- الوحي: أنواعه ــ إمكانه ــ دليل وقوعه.

٢- معنى النبوة لغة واصطلاحا

٣- رأي أهل السنة والفلاسفة في معنى النبي.

٤- الفرق بين النبي والرسول.

٥- حكم إرسال الرسل.

٦- ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقهم "صلوات الله عليهم أجمعين".

Scanned with CamScanner

الوحي :- تعريفه. أنواعه . إمكانه . الدليل على وقوعه.

أولاً: تعريف الوحي

الوحي لغة: الإعلام بالشيء في خفية، أو الإعلام سرا . قال صاحب المعجم الوجيز (وحَىَ إليه ، وله " يَحِي" وحياً : أشارَ وأومأ ..... والله إليه أرسل وألهَمَه) [١].

وقد يكون التعريف بحاجة إلى مزيد من الشرح لنتبين في وضوح ماذا نعني بالإعلام سرا.

أقول: سواء كان ذلك بالإشارة أو الكتابة أو الإرسال أو الإلهام.

ولابد لي هنا أن أشير إلى أن الوحي بهذا المعنى اللغوي يكون قدراً مشتركا بين جميع الناس، ونجد لهذا المعنى اللغوي واقعا يطابقه في القرآن الكريم، وفي إيجاز شديد نقول:

١- يأتي بمعنى الإشارة.

قال تعالى﴿ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[٢].

والمعنى أشار إليهم بالتسبيح أناء الليل وأطراف النهار.

٢- ويأتي بمعنى التسخير

قال تعالى﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[٣]. أي أن الله تعالى سخر للنحل الجبال والشجر وما يعرشون من الحطب والخشب وغيرهما بيوتا.

٣- ويأتي بمعنى الأمر

---

(١) المعجم الوجيز . باب الواو . فصل الحاء . ص ٦٦٣

(٢) سورة مريم آية ١١.

(٣) سورة النحل آية ٦٨.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[١].

أي أمرت الحواريين أن يؤمنوا بالله تعالى وبرسوله.

ومن خلال هذا المناخ اللغوي المتميز الفريد لفظا ومضمونا ننتقل لبيان معنى الوحي في الشرع ويأتي بمعان ثلاث باعتبارات مختلفة.

(١- باعتبار المعنى المصدري: هو التعليم السري الصادر من الله تعالى إلى أنبيائه بواسطة أو بغير واسطة.

٢- باعتبار المعنى الحاصل بالمصدر: عرفات يجده الشخص من نفسه مع يقين بأنه من الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة.

٣- باعتبار الموحي به: كلام الله المنزل على أنبيائه "عليهم الصلاة والسلام.) [٢]

ثانياً: أنواع الوحي

إنه لمما يستوقف النظر أن أنواع الوحي الأربعة يصحبها علم يقيني عند أنبياء الله ورسله أنه ما ألقى إليهم من عند الله وليس من خطرات النفس ولا نزعات الشيطان، وإن من أهم ما حقق ذلك اليقين الجازم أن علم اليقين ينتقل إلى عين اليقين بالتقاء المرسلين بأمين الوحي جبريل، وقبل ذلك ومعه وبعده الربط على القلب.

قال تعالى ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾[٣].

ومعنى ربطنا أي ثبتنا. وأيضا تأييد الله لأنبيائه ورسله بالمعجزات التي تدل

---

(١)سورة المائدة آية ١١١.

(٢) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ص٢٣

(٣)سورة القصص آية ١٠.

على صدق دعواهم.

والأمثلة على أنواع الوحي الأربعة هي:

(التكليم مباشرة بلا وساطة كما حصل لسيدنا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ولسيدنا موسى "عليه السلام" في طور سيناء في الوادي المقدس) [١].

قال تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[٢].

وقال تعالى ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[٣].

وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[٤].

وقال تعالى ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٥].

والمسار العام هو أن تستند آية فكرة مهما كان موضوعها إلى ألفاظ ومن سبل تبليغ دعوته تعالى لرسله "عليهم السلام" الخطاب، ولأهل السنة في ماهية كلام الله تعالى قولان.

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة النجم المجلد الرابع .الجزء السابع والعشرون ص٢٢٤.

(٢) سورة النجم الآيات ١ : ١١.

(٣) سورة النساء آية ١٦٤.

(٤) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٤.

الأول

أ- أن هذا الكلام المسموع بين الله تعالى ورسله هو الكلام النفسي القديم الذي ليس بحرف ولا صوت.

ب- أن هذا الكلام المسموع كلام لفظي يخلقه الله تعالى.

وفي وضوح ناصع نقول: لا مانع عقلاً من أن يسمع الأنبياء والمرسلين الكلام النفسي القديم لله تعالى بطريقة تخالف الطرق المألوفة للناس في سماع الكلام.

أما المعتزلة (فقد انكروا أن يكون الله تعالى كلم أحداً من خلقه، وإنما ألقى الله تعالى الكلام في الشجرة فسمعه موسى "عليه السلام" وفي قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[1] قرأت المعتزلة بنصب لفظ الجلالة والرفع لموسى)[2].

وهذا تأويل للفظ القرآن الكريم ومعناه، وعلام اللجوء إلى التأويل والتحريف في كلام الله ما دام المعنى واضحا ؟

وهذا الخلاف لا يعنينا هنا إلاَّ بقدر ما تكشف لنا عنه النصوص الشرعية (وأما حقيقة هذا الكلام – وهو أمر اختلف حوله العلماء قديماً وحديثاً وسُطِّرَت فيه كتب ، وحدثت بشأنه فتن – فلا يعلم حقيقته إلاّ الله " **سبحانه وتعالى** " ، والحديث فيه مضيعة للوقت وللجهد بغير طائل ..... ولم يكلفنا الله تعالى به ، ولم يأذن لنا الشارع الحكيم ببحثه ، فيجب الإيمان به دون بحث فى حقيقته مع يقيننا بأن هذا الكلام ليس بحرف ولا صوت ولا يشبه كلام البشر ، وإن اقترن به صوت الملك وكلامه ، لأن الله تعالى ليس كمثله شئ وكلام الله تعالى النفسى

---

(1) سورة النساء آية ١٦٤.

(2) تفسير ابن كثير المجلد الأول . الجزء السادس ص٥٢٤.

ليس بحرف ولا صوت وهو الموحَى به إلى النبى ﷺ والذى يتلقاه هو قلب النبى ﷺ .

قال تعالى ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ (١)

وما فى القلب لا يسمى كلاماً لفظياً أو صوتياً ، فاللفظ محله اللسان ، والصوت محله السمع والأذن ، وإن صاحَبَ الإلقاء فى القلب صوت الملك وكلامه)(٢)

ولعلنا نتفق بعد ما قدمناه على أن رأي المعتزلة في هذه القضية يبعد عن الحق بعداً أفسد صوابه، ورأي أهل السنة يستند على الاهتمام بفهم اللغة فهما يهدي إلى طريقة استخدامها في دقة ووضوح. لذا كان موقف أهل السنة في هذه القضية فكراً واضحاً ودقيقاً.

الثاني

أن يكلم الله أنبياءه ورسله بواسطة الملك – جبريل – ومن هذا النوع نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ وكلام الملك لسيدنا محمد ﷺ ارتكز على أحوال ثلاثة:

الحالة الأولى أن النبي ﷺ رأى الملك على صورته الملائكية وتعلم منه ما جاء به إليه من الله تعالى. وكان ذلك مرتين.

الأولى: في أول لقاء له ﷺ بجبريل "عليه السلام" في غار حراء فقد قال الملك "عليه السلام" لسيدنا محمد ﷺ اقرأ وكرر له ذلك ثلاثاً.

قال تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ

---

(١) سورة الشعراء : آية ١٩٣ : ١٩٤

(٢) دراسات فى العقيدة والتوحيد للأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد المراكبى القسم الثالث النبوات ص ٤٢،٤٣

الأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١].

وأما الثانية: (فقد كانت في السماء عند سدرة المنتهى)[٢].

قال تعالى﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى • عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾[٣].

الحالة الثانية

(أن جبريل "عليه السلام" أتى سيدنا محمداً ﷺ في صورة الصحابي الجليل دحية الكلبي وكان ﷺ ذي هيئة حسنة وصورة جميلة، ورآه الحاضرون وسمعوا قوله، ولم يعرفوا أنه جبريل "عليه السلام" إلا بعد أن أخبرهم ﷺ بذلك)[٤].

الحالة الثالثة

(أن سيدنا محمداً ﷺ كان لا يرى الملك – جبريل – عند نزول الوحي لا في صورته ولا في صورة غيره، وإنما يسمع عند مجيئه "عليه السلام" صوتا كصلصلة الجرس أو كدوي النحل) [٥].

وسندنا في هذا ما رواه (الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام ﷺ سأل رسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على "فينفصم"[٦] عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعى ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينفصم

---

(١) سورة العلق الآية ١ : ٥ إنظر . مناهل العرفان فى علوم القرآن الجزء الأول ص٥٧.

(٢) مناهل العرفان الجزء الأول ص٥٧.

(٣) سورة النجم آية ١٣، ١٤.

(٤) مناهل العرفان ج١ ص٥٨.

(٥) مناهل العرفان ج١ ص٥٨.

(٦) ينفصم: أي ينكشف.

عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا)[١].

الثالث

(الإلهام:وهو أن يلقى الله-سبحانه وتعالى - في قلب النبي ﷺ ما أراده تعالى)[٢].

ومن ذلك ما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إن روح القدس - نفث[٣] - في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب "[٤].

الرابع

الرؤيا في المنام: ومن أمثلته ما حكاه القرآن الكريم عن سيدنا إبراهيم "عليه السلام" حين قال لولده إسماعيل ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[٥].

فرؤيا الأنبياء وحي من الله تعالى بمثابة أمر إلهي صادر منه تعالى.

الدليل على أن الوحي يتنوع إلى الأقسام الأربعة السابقة

إذا استعدنا ما ذكرناه فيما سبق - عن أنواع الوحي - بات يسيرا علينا أن نرى الآية الكريمة التي تدل على الأقسام السابقة للوحي، وهي قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: بدء الوحي. باب: أول الكتاب ج١ ص٤ ط بيروت.

(٢) تفسير ابن كثير لسورة النجم المجلد الرابع الجزء السابع والعشرون ص٤٤٩، ٤٥٠.

(٣) نفث أي نفخ.

(٤) ذكره بن كثير في تفسيره الجزء الأول ص١٢٤ وعزاه إلى ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود.

(٥) سورة الصافات آية ١٠٢.

بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[١].

قال الإمام ابن كثير في تفسيره هذه مقامات الوحي، وهي: أن الله تعالى تارة يقذف في روع النبي ﷺ يعني في روحه شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله تعالى ... أو من وراء حجاب كما كلم الله تعالى موسى "عليه السلام" فإنه سأل الرؤيا بعد التكلم فحجب عنها.

عن جابر ﷺ قال قال لي رسول الله ﷺ إن الله تعالى لا يكلم أحداً إلا من وراء حجاب وأنه كلم أباك كفاحا. وكان قد قتل يوم أحد – فقال تمن عليَّ وذكرت الحديث[٢].

والظاهر بل الواضح بل المؤكد أن هذا الكلام كان في عالم البرزخ أعني بعد الموت – في القبور – قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[٣].

(كما كان ينزل جبريل "عليه السلام" وغيره من الملائكة على الأنبياء)[٤].

هذه هي أنواع الوحي كما ذكرها الإمام الحافظ ابن كثير وإن النظر المتأمل الدقيق على وعي بما هو مضمر في كلام الإمام من معان فقد أجملها في ثلاثة أنواع وتتضمن كلمة " وحيا " نوعين هما.

الكلام مباشرة بلا واسطة ولا حجاب والإلهام.

---

(١) سورة الشورى آية ٥١.

(٢) قال شراح الحديث. كان قد قتل يوم أحد. أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب: معرفة الصحابة باب: ذكر مناقب عبد الله بن عمر بن حزام ج٣ ص٢٤٢ ط دار بيروت للكتب العلمية.

(٣) سورة الشورى آية ٥١.

(٤) تفسير ابن كثير . المجلد الرابع. الجزء الخامس والعشرون ص١٠٩.

إمكان الوحي

إن قضية إمكان الوحي تفرض نفسها على العقل لنصوع صوابها، وحجتنا في ذلك أن إمكان الوحي يقوم على ثلاثة أمور.

الأول: وجود موح وهو الله تعالى، ووجوده "جل وعلا" لا يحتاج إلى نصب دليل ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد.

الثاني: الملك الذي يبلغ الوحي وينقله من الله تعالى إلى رسله "صلوات الله عليهم أجمعين" وقد أخبرنا الله تعالى بذلك.

قال تعالى ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴾[1].

الثالث: وجود نفس بشرية صافية صالحة لها كل الفضائل البشرية لتلقي الوحي من الله تعالى أو من الملك، والأنبياء "صلوات الله عليهم أجمعين" في غير حاجة إلى التدليل على سمو فطرهم وصفاء أرواحهم لأن الله "جل وعلا" أعدهم للتلقي عنه سبحانه وتعالى.

ونحن إذا ما أدرنا البصر بلمحة واحدة إلى الاختراعات الحديثة وقدرتها على الاتصال والتخاطب والرؤية من مسافات شاسعة كالتليفون، والمحمول واللاسلكي، والراديو، والتلفاز وغيرها. بات يسيرا علينا أن ندرك إمكان الوحي، ونحن إذا ما ارتفعنا بمستوى الحديث لنتناول قضية إمكان الوحي من جهة الموحي "جل وعلا" فسنجد أن قضية إمكان الوحي ليست قضية نظرية تحتاج إلى تدليل، وإنما هي واقع وقع منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ، والذين عاصروا الأنبياء "صلوات الله عليهم أجمعين" شاهدوا معجزاتهم التي ظهرت على أيديهم، وأما من جاء بعد عصر النبوة فدليل وقوع الوحي

---

(1) سورة الشعراء آية ١٩٣.

بالنسبة له الخبر المتواتر الذي نقل عن النبي ﷺ.

والحجة القوية التي تبين صلتنا بمعجزات الأنبياء والمرسلين ألا وهي معجزة القرآن الكريم للخاتم ﷺ التي ستظل شاهد صدق ودليل حق على وقوع الوحي من الله تعالى لرسله "صلوات الله عليهم أجمعين".

النبـــوة

مدخل :

إيمانا منا بحاجة البشرية لأنبياء الله ورسله، واقتناعا بأن الإله الحق هو الذي يشرع لخلقه منهجا يسيرون عليه، وليكون المعنى أوضح ظهوراً. فإن التاريخ الفكري الذي هو سجل الأحداث، وديوان الوقائع يخبرنا بأن سبب ذهاب عبادة الأصنام بعدما كانت قبلة المشركين التي يصلون إليها، وملتهم التي يعتمدون عليها. لم يتركوا إعادتها ولا خلعوا عبادتها إلا بعد أن أخبرهم الله جل وعلا بأنهم صنعته وأنهم خلقوا لعبادته سبحانه وتعالى وأنه جل علا أحل لهم وحرم عليهم.

قال تعالى﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]. قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[3].

وما أكثر الآيات القرآنية الكريمة التي تميز الإنسان عن غيره – بالعقل – وتتحدث عن محامده وتذم من تحجرات منافذ معارفهم.قال تعالى وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ

---

(1) سورة النحل آية ٧٨.

(2) سورة الذاريات آية ٥٦.

(3) سورة الأعراف آية ١٥٧.

الغَافِلُونَ ﴾[١].

وإنه لمما يميز العقل - الذي أراده خالقه "جل وعلا" - أنه لا يسلم لأي قضية كائنة ما كانت إلا بسند منطقي ليقطع بصوابها مما يجيز لنا أن نقول إن العقل هو المصدر الأساسي في معرفته "جل وعلا" وليس أمامنا أدنى مجال للشك بأن منهج الخالق "جل وعلا" اصطفى له من البشر ليقيموا شرعه "جل وعلا" لأن تطبيق الشرع على من اصطفاه "جل وعلا" هو المرجع الحاسم لقدرة البشرية على اتباع منهجه من خلال رسول يوحي إليه.

قال تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[٢].

وتوالت أنبياء الله ورسله في كل العصور التي سبقت عصره ﷺ لتترابط أطراف الحياة كلها بخالقها "جل وعلا" سواء استطاعت أبصارنا العابرة رؤية تلك الروابط أو لم تستطع.

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٣].

ولقد سار رسل الله وأنبياؤه على الدرب الوعر يقتلعون الأشواق من قلوب فطرها الله على الإيمان به "جل وعلا" ويكدون نفوسهم وأذهانهم ووجدانهم في وصل العالمين بخالقهم. قال تعالى﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩.

(٢) سورة الكهف آية ١١٠.

(٣) سورة يونس آية ٢٢.

اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ﴾[١].

ويرجح الله "جل وعلا" كفة الإيمان على الكفر في عقول المشركين وتتصل البشرية بخالقها وتنتهي خرافة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

قال تعالى﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[٢].

من هنا كان رسل الله هم مصدر اليقين في فكر البشرية، وأهميتهم تأتي من كونهم الصلة بين السماء والأرض وها هنا في مجال حاجة البشرية للرسالة الإلهية نجد الفرصة مواتية في:

تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

نعلم بحق إلى أي حد يتقارب معنى النبي والرسول وأن بينهما في دنيا الفكر صلة فلابد أولاً من فهم التعريف اللغوي لهما فهما صحيحا لنعرف كيف نشأ التفريق بينهما، وكيف تفرع التعريف ليضع حدوداً لمعنى النبي والرسول في اللغة والاصطلاح.

معنى النبي في اللغة

يجتمع الرأي على أن النبي إما مأخوذ من النبوة أو النبأ. والنبوة (ما ارتفع من الأرض وحينئذ يكون معناه الذي شرف على سائر الخلق قاطبة) [٣] وإما أن يكون مأخوذاً من (النبأ الذي هو الخبر، تقول: نبأ وأنبأ: أي أخبر) [٤] فالنبي هو المخبر عن الله تعالى.

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٥.

(٢) سورة النجم الآيات ١٩: ٢٢.

(٣) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص١٩٨.

(٤) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص١٩٩.

Scanned with CamScanner

قال تعالى﴿ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[١].

أي أخبرني العليم الخبير ويُجمع النبي على أنبياء، وقيل النبي مأخوذ من (نبا بمعنى خرج تقول نبأ من أرض إلى أرض إذا خرج من أرض إلى أرض غيرها، وهذا المعنى أراده الأعرابي بقوله: يا نبي الله أي الخارج من مكة إلى المدينة، وقيل النبي هو الطريق ومنه يقال للرسل عن الله تعالى أنبياء لكونهم الهداية) [٢].

ولكن الفلاسفة ذهبوا إلى أن النبي لابد أن تتوفر فيه خصائص تميزه عن سواه. فهو لابد وأن يكون متمتعاً :

(بقوة قدسية تمكنه من الاتصال بالعقل الفعال من غير فكر ولا نظر فتصل به إلى كمال العلم من غير تعلم بشري حتى يحيط علما بما شاء الله تعالى على قدر الطاقة البشرية من معرفة الإله الحق، وطبقات الملائكة وسائر أصناف الخلق، وكيفية المبدأ والمعاد إلى غير ذلك مما دل عليه قول الله تعالى ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[٣].

والنقطة الخطيرة التي توضح لنا حقيقة فكر الفلاسفة في قضية النبوة تتضح في شروط النبوة عندهم وهى : أن النبى لابد (وأن يكون متميزا بمخيلة قوية تعينه على تخيلات الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة، ويستطيع أن يدرك كثيراً من الأمور التي تقدم وقوعها بزمان طويل فيخبر عنها وكثيراً من الأمور التي تكون في الزمان المستقبل فينذر بها)[٤].

وينكشف ما تحت الرغوة من حقيقة الفلاسفة وما يضمروه في قول ابن سينا

---

(١) سورة التحريم آية ٣.

(٢) أم البراهين الكبرى ص٤١٥.

(٣) سورة النساء آية ١١٣.

(٤) ابن سينا بين الدين والفلسفة للدكتور – حمودة غراية ص١٣٣.

(أن تكون نفسه المحركة قادرة على الإهلاك وقلب الحقائق من التدمير على قوم بريح عاصفة، وآخرين بصاعقة وغيرهم بطوفان)[١].

مما سبق يتضح لنا في أجلى وضوح أن ابن سينا وإن كان قد صور النبي في أعلى مستوى بشري وأنه قادر على خرق العادات إلا أنه لم يذكر أن ذلك بقدرة من له الأمر والحكم "سبحانه وتعالى" وكأن النبوة عند الفلاسفة تكتسب لأي شخص شريطة أن يتحلى بالشروط السابقة وبناء على هذا فالنبوة – عند الفلاسفة – لم تختم بمحمد ﷺ وهذا يتنافى مع صريح القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

قال تعالى﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾[٢].

وفي صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " **كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي** " [٣].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون، هلا وضعت هذه اللبنة. قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**"[٤].

---

(١) المرجع السابق ص١٣٦.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ج٣ ص١٢٧٣ من طريق أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي ﷺ كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبي بعدي وسيكونوا خلفاء فيكثرون. قالوا فما تأمرنا ؟ قال فوا بيعة الأول فالأول أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم. ط. دار ابن كثير بيروت تحقيق مصطفى ديب البغا.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب خاتم النبيين ج٣ ص١٣٠٠ من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

وجاء في رواية مسلم عن جابر ﷺ:"فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء "[١].

مما تقدم أقول – في إيجاز شديد – إن النبوة ختمت وانتهت بنبوته ﷺ وعلى هذا انعقد إجماع المسلمين وأصبح بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة لذا يتبين لنا أن الفلسفة تحتاج إلى فكر أهل السنة ليحميها ويوسع أفاقها ويعمق محتواها. أقول ذلك كله لأنتهي منذ البداية إلى أن فرقة أهل السنة والجماعة هي الجديرة بأن تقدم لنا دراسة علمية موضوعية تفسر لنا قضية النبوة، وعظمة فرقة أهل السنة في هذه القضية وغيرها من القضايا أنها لا تستمد فكرها من الفلسفة – أو آية فرقة أخرى–فالفلسفة بذاتها ليست قيمة معيارية بل تتجاوز هذه الأفكار إلى المستوى الرفيع أو على الأدق المعصوم القرآن الكريم والسنة المطهرة. وهذه الكلمات مقدمة لقول أهل السنة (النبوة موهبة من الله تعالى ونعمة منه على عبده) [٢].

قال تعالى﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٣].

وقال تعالى﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾[٤].

الفرق بين النبي والرسول

الأمر المقطوع بصوابه أن ما من رسول إلا وكان نبيا وعلى هذا الأساس نفسه أقام علماء التوحيد الفرق بين النبي والرسول فالنبي هو الذي أوحى الله إليه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب. ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ج٤ ص١٧٩١ من طريق سعيد بن ميناء عن جابر. دار إحياء التراث ولفظه: مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة قال رسول الله ﷺ فانا اللبنة جئت فختمت الأنبياء.

(٢) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص١٩٩.

(٣) سورة الأنعام آية ١٢٤.

(٤) سورة الأعراف آية ١٤

بشرع بواسطة ملك أو دونه ولم يأمر بتبليغه.

والرسول: هو ما أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه.

قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[1].

فالحد الفاصل بين النبي والرسول أن النبي لم يؤمر بالتبليغ والرسول أمر بالتبليغ. وهذا التحديد هو الخطوة الأولى والضرورية التي إذا حللناها نجد أن: الرسول أخص، والنبي أعم وعليه يلزم أن: كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول.

ويستند جمهور العلماء في أن النبي أعم من الرسول إلى:

قوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ﴾[2].

فقد عطف النبي على الرسول فهما إذن ليسا متساويين وإلا لما حصل العطف.

وقد سئل ﷺ عن الأنبياء فقال: " مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا فقيل: فكم المرسل منهم؟ قال ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا "[3].

---

(1) سورة المائدة آية ٦٧.

(2) سورة الحج آية ٥٢.

(3) الحديث روي عن أبي أمامة وهذه الرواية أخرجها ابن أبي حاتم في تفسيره ج١ ص١٨٢ نشر دار المكتبة العصرية.

أما رواية الحاكم : فعن أبي أمامة ﷺ أن رجلا قال يا رسول الله ﷺ أنبي كان آدم قال نعم معلم مكلم قال كم بينه وبين نوح قال عشر قرون قال كم كان بين نوح وإبراهيم قال عشر قرون قالوا يا رسول الله كم كانت الرسل قال ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا.

أخرجه الحاكم في كتاب التفسير باب من سورة البقرة ج٢ ص٢٨٨ نشر دار الكتب العلمية بيروت.

وليست هذه هي الفروق بأكملها ولكن قال علماء التوحيد إن بين النبي والرسول عموم وخصوص وجهي، فيجتمعان في الرسول من البشر وينفرد النبي فيمن يوحى إليه من البشر ولم يؤمر بالتبليغ وينفرد الرسول فيمن أوحى إليه من الملائكة وبعث إلى غيره.

قال تعالى﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾[1]. أي رسلاً وقيل هما متباينان وأن الرسل أصحاب الكتب والشرائع والنبيين هم الذين يحكمون بالمنزل على غيرهم مع أنهم يوحى إليهم[2].

وإذا نحن أقمنا التفرقة على هذا الأساس الأخير – الرسل هم أصحاب الكتب والشرائع (اعترض بما ورد في الحديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب .

إذ الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر، والكتب مائة وأربعة ؟)[3] ويجتمع الرأي على رؤية واضحة وهي شركة أكثر من رسول في كتاب واحد، وسندنا المنطقي فيما ذهبنا إليه هو أن هارون كان رسولا مع موسى "عليهما السلام" ولهما كتاب واحد. وكما هو معروف أن الأنبياء والرسل كثيرون ذكر القرآن الكريم منهم خمسة وعشرين وهؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلا. وهم كما ذكرهم صاحب الخريدة في قوله السهل المريح.

حتم على كل ذي التكليف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو

---

(1) سورة الحج آية ٥٧.

(2) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص١٩٩، ٢٠٠.

(3) تقريب المرام للشيخ: عبد القادر بن محمد سعيد بن أحمد في شرح تهذيب الكلام للإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني القسم الثاني ص٤٦

إدريس هود شـــعيب صـــالح وكـــذا ذو الكفل أدم بالمختار قد ختموا[١]

وهناك رسل آخرون لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم يتضح ذلك من قوله تعالى ﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾[٢].

ولابد لي هنا أن أشير إلى أن سيدنا محمد ﷺ نبي ورسول وخاتم النبيـــين والمرسلين وآدم "عليه السلام" نبي فقط، ونوح عليه السلام نبي ورســـول. وأن أولى العزم من الرسل خمسة وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمـــد صلوات الله عليهم أجميعن وسموا بأولى العزم لأن عزائمهم كانـــت قويـــة فـــي تحملهم ابتلاءات أقوامهم، وجهادهم كان شاقا في تبليغ رسالة ربهم "جل وعلا"

حكم إرسال الرسل[٣]

قضية تحيرت فرقة المعتزلة في حلها حلاً حاسما يزيل القلق من النفوس، وهي قضية لا تكتفي بأن تمس قشور الفكر الإسلامي ثم تمضي، وإنما هي قضية ضاربة في حياتنا الفكرية حتى الجذور، وماذا تقول في مسألة تدير سؤالها حول.

ما حكم إرسال الرسل ؟

وهذه القضية لهما ما لها من عمق التأثير في النفوس.

ولقد أدلت فرقة المعتزلة بدلوها في القضية دون أن تكون على وعي كامل

---

(١) المختار من شرح البيجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيـــد المقرر للمرحلة الثانوية ص٥٠، ٥١ .

(٢) سورة النساء آية ١٦٤.

(٣) لمزيد من الوضوح والإيضاح انظر: التنوير والعقلانية بين المعتزلـــة وأهـــل الســـنة الفصل الثاني: منهج المعتزلة في البحث حولية كلية الدراسات الإســـلامية والعربيـــة للبنات بالمنصورة تأليف كاتب السطور ص٣٢٧ العدد الخامس عشر سنة ١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م.

Scanned with CamScanner

بما هو مضمر فيها من معان يتضح ذلك فى قولهم (واجب على الله إرسال الرسل. وقالوا: الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل) [١].

من هنا نستخلص النتيجة القائلة: إن المعتزلة أوجبوا على الله إرسال الرسل بناء على أصلهم العقلي القائم على مراعاة الصلاح والأصلح. وعلى قاعدة التحسين والتقبيح العقليين.

وواضح أن اختفاء ما هو جيد في هذا القول يرجع إلى قول المعتزلة بإيجاب إرسال الرسل، وقولهم بالتحسين والتقبيح العقليين يدل على اضطراب فكري. لأنه ما دام العقل يستقل بإدراك التحسين والتقبيح. فلمَ إرسال الرسل؟ بل والقول بالإيجاب ؟

وأوجه الخلل في فكر المعتزلة تكشفه لنا فرقة أهل السنة في ردها على المعتزلة فتختلف فرقة أهل السنة مع المعتزلة في مغزى حكم إرسال الرسل فترى أن (هذا الإرسال تفضل وإنعام من الله تعالى لعباده لهدايتهم وإسعادهم، وحكم هذا الإرسال جائز. حتى لا يبقى لمن أرسل إليهم الرسل عذر يوم القيامة فيما ارتكبوا من أعمال) [٢].

قال تعالى﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾[٣].

ولِيكون المعنى أوضح ظهوراً في هذه القضية – حكم إرسال الرسل – وحتى نصل في آخر الشوط إلى النتيجة الصحيحة وندلل على سر صوابها نستعرض سبب قول المعتزلة بإيجاب إرسال الرسل على الله تعالى.

وهنا تتقدم فرقة المعتزلة بفكرة نظرية من تلك الأفكار التي هي أقرب إلى

---

(١) حاشية الأمير على شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ص١١٢.

(٢) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص١٩٤.

(٣) سورة النساء آية ١٦٥.

الرياضة الذهنية منها إلى حل المشكلات العلمية يتضح ذلك من قولهم (الحسن حسن في نفسه وحسنة يكون لذاته أو لصفه لازمة لذاته – وهذا مذهب الجبائى – وإن من الحسن والقبح ما يدركه العقل من غير نظر واستدلال كإنقاذ الغرقى، والهلكى والصدق النافع، وكقبح الظلم والكذب الضار.أو يدركه العقل بواسطة النظر والاستدلال مثل: قبح الصدق الضار وحسن الكذب النافع.ومن الحسن والقبح ما لا يدركهما العقل بواسطة النظر والاستدلال ولا بدونهما مثل: حسن صوم آخر رمضان، وقبح صوم أول شوال، فإن العقل لا يستطيع إدراكهما بل يتوقف إدراكهما على الشرع والسمع[1].

هذا القول الأخير – إن من الحسن والقبح ما يدركه العقل .... – سهل ومريح، وهو فوق ذلك قول نؤمن به أو – على الأقل – يؤمن به كاتب السطور. ولكن القضية الجديرة بالنظر المتأمل الدقيق هي قول المعتزلة : "الحسن حسن في نفسه وحسنة يكون لذاته أو لصفة لازمة لذاته "والأمر بحاجة إلى مزيد من الشرح من أهل السنة لنتبين في وضوح ماذا تعنى المعتزلة بهذا القول الذي نرى فيه شيئاً من الخلط وتداخل الأفكار بعضها في بعض حتى ليتعذر علينا الرؤية الواضحة وها هنا تضرب فرقة أهل السنة الأمثلة التي توضح ما زعمته فرقة المعتزلة فتقول :

(إن الحسن والقبيح يطلقان على أمور منها: ما يكون صفة كمال أو صفة نقص. ومنها ما يكون ملائما للطبع أو منافرا له، ومنها ما يتعلق به في الأجل ثواب أو عقاب.فإن كان المراد بالحسن ما يكون صفة كمال، وبالقبيح ما يكون نقص. كان المراد بالحسن ما يكون ملائما للطبع، وبالقبيح ما يكون منافرا للطبع فلا خلاف في كونهما عقليين وإن كان المراد بالحسن ما يتعلق به في الأجل ثواب، والقبح ما يتعلق به في الأجل عقاب، فالعقل لا مجال له فيما يتعلق به في الأجل ثواب

---

(١) شرح أم البراهين الكبرى ص٤٣٧.

أو عقاب) [١] لأن العقل ليس له مدخل في الحكم على ذلك بالحسن أو القبح بل الحسن فيها ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع.

ما يجب وما يجوز وما يستحل في حق الرسل عليهم السلام

إننا نتناول الخصوصية للأنبياء والمرسلين من خلال عدة رؤى تبدو عندنا بديهيات. فإذا بها عند غيرنا من الضروريات القصوى التي تحتاج إلى جهد عميق، والسبب ما آل إليه حال بعض الجهلاء في العالم الإسلامي من تقديس للأنبياء والأولياء، وهذا الذي دفعنا لاستعادة هذه البديهيات ، وكان من رأيي أن تكون نقطة البدء وعيا نبثه في النفوس بالمحور الأساسي الذي تدور حوله رحى النبوة وهو: أنه ليس في مقدور بشر أن يرقى إلى درجة النبوة حتى الخضر الذي علم موسى "عليهما السلام" عبد الله تعالى على منهج موسى "عليه السلام". لذا أمرنا الله "جل وعلا" أن نتخذهم "عليهم السلام" أسوة عمل، وتطبيق. لكن هذه الأسوة لا تخرجهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن بشريتهم .

قال تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ..... ﴾[٢].

وقال تعالى﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾[٣].

فالركيزة الأساسية في قضية النبوة أن الأنبياء والمرسلين بعثهم الله تعالى للربط بين العالمين وخالقهم ، ومن ثم (فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) [٤].

---

(١) شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) سورة الكهف آية ١١٠.

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١.

(٤) عن ابن عباس ﷺ قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال يا غلام إني أعلمك كلمات.

وقال تعالى﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾[١].

وما أحوج الساحة الفكرية إلى إطار يحميها ويوسع آفاقها ويعمق محتواها العقدي في قضية النبوة ليصبح الجهلاء بقدر الله ورسله قادرين في الحياة الإيمانية على التفرقة بين ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقهم "صلوات الله عليهم أجمعين".

ما يجب في حق الرسل

ثمة حقيقة واحدة إجمالية، وإجابة وحيدة تفصيلية عما يجب للرسل وهي: يجب لهم كل كمال بشري يليق بهم وتفصيلا يجب لهم من الصفات أربعة.

١- الصدق ٢- الأمانة. ٣- التبليغ ٤- الفطانة.

أولاً: الصدق:

كشف لنا علماء العقيدة أن للصدق له معنيان عام، وخاص.

(فالصدق بمعناه الأعم هو: مطابقة الخبر للواقع ولو بحسب الاعتقاد) [٢].

ويبدو لنا أن معنى ذلك أن النسبة الكلامية طابقت النسبة الواقعية في اعتقاد صاحبها ولو لم تطابقها في الخارج ونفس الأمر، ونستطيع أن نتمثل هذا لتعريف

احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف.

أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ج٤ ص٦٦٧ من طريق حنيش الصنعاني عن ابن عباس ط دار إحياء التراث.

(١) سورة الفرقان آية ٥٨.

(٢) حاشية الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهدهدي على السنوسية ص١١٣.

بكل توسعة من خلال (قصة الصحابي الجليل ذي اليدين الذي كان يصلي مع النبي ﷺ صلاة رباعية وسلم بعد ركعتين، وهو ﷺ مطمئن تماماً أنه صلى أربعة) [١].

وكان السؤال من الصحابي الجليل ﷺ للرسول ﷺ أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وكان جوابه ﷺ على حسب اعتقاده. لم أقصر ولم أسلم بعد ركعتين. لذا قال ﷺ أصدق ذو اليدين فقال الناس نعم.

هذا هو الصدق بحسب الاعتقاد وإن كانت حكمته معرفة الأحكام الفقهية ولعله قد بات واضحا أن الصدق بمعناه الأخص هو (مطابقة الخبر للواقع ونفس الأمر) [٢] بمعنى أن النسبة الكلامية لابد وأن تطابق النسبة الواقعية في العقل، ولا شك أن إخبار الأنبياء عن الله تعالى من قبيل الصدق بمعناه الأخص.

أما صدقهم "عليهم السلام" في الأخبار عن الأمور الدنيوية مثل: على موجود. وزيد قائم فيكتفي فيه بالصدق بحسب الإعتقاد .

الأدلة على وجوب صدقهم "عليهم السلام"

الأدلة النقلية كثيرة تذكر منها :

قوله تعالى: ﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[٣].

---

(١) نص الحديث: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ أصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام رسول الله ﷺ فصلى اثنتين أخريين ثم سلم ثم كبر= =فسجد مثل سجوده أو أطول.

أخرجه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة. باب: هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس ج١ ص٢٥٢ من طرق ابن سيرين عن أبي هريرة ط دار ابن كثير – بيروت.

(٢) شرح الخريدة ص٩٨.

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢].

الأدلة العقلية

بدهي أن الاستدلال على صدق المرسلين مسلم بصوابه بل إيجاب أو تأكيد مسلم بيقينه لأننا متفقون بلا شك فيما يتعلق بصدقهم والذي نعده منطقيا القول بأن صدق المرسلين قضية ارتكز بناؤها على رؤوس ثلاثة.

أولها: (أنه لو لم يصدق الأنبياء في قولهم للزم الكذب في خبر الله تعالى لكن الله أيدهم بالمعجزات لتكون دلالة على صدق دعواهم فعدم صدقهم محال) [٣].

ثانياً: (لو كذب الأنبياء لما وثق الناس بهم ولا سمعوا كلامهم فتضيع الرسالة)[٤].

ثالثاً: (لو كذبوا فإن الكذب معصية وهم معصومون منها) [٥].

إذن بطل القول بكذبهم وثبت وجوب صدقهم.

---

(١) سورة الفتح آية ٢٧.

(٢) سورة النجم آية ٣، ٤.

(٣) حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي على السنوسية ص١١٤.

(٤) أم البراهين الصغري ص١٥٤.

(٥) أم البراهين الصغرى ص١٥٤.

Scanned with CamScanner

الأمانـــة

الأمانة في اللغة:(الوفاء. والأمينْ : المأمونٌ مَنْ يتول رقابة شئ أو المحافظة عليه) [١]. قال تعالى﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾[٢].

وشرعا : حفظ ظواهر الأنبياء والرسل وبواطنهم من التلبس بمنهى عنه ولو نهى كراهة أو خلاف الأولى [٣]. ويجب أن نلحظ أن الله تعالى حفظ أنبياءه ورسله ظواهرهم وبواطنهم من الوقوع في المحرمات والمكروهات سواء كانت كبائر أم صغائر.وتعريف الحكماء للأمانة تعريف هين قريب المنال يتضح ذلك من قولهم (الأمانة ملكة تمنع العبد من الفجور) [٤].

ويفصلون القول جوابا عن هذا التعريف بقولهم إن هذه الملكة تحصل وترسخ في النفس بسبب العلم بعيوب المعاصي وفضائل الطاعات، وتقوى في الأنبياء بتتابع الوحي.

وبدهي أن ضد الأمانة: الخيانة.

---

(١) المعجم الوجيز . باب الألف . فصل الميم . ص ٢٦

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٣.

(٣) أرجوزة جوهرة التوحيد تاليف الإمام اللقانى القسم الثانى صـ ٥٠

(٤) المواقف للإيجي ص٨.

Scanned with CamScanner

الأدلة على وجوب الأمانة

الأدلة النقلية: نذكر منها .

قوله تعالى﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[١].

وقوله تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[٢].

وقوله تعالى﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٣].

الدليل العقلي

وهو تصور هين قريب المنال يلفت الشارح النظر إليه بقوله (لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين به لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الأولى، فلا تكون أفعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى) [٤].

والصفة العامة التي تتميز بها الأدلة العقلية أنها هي الكاشفة للدليل والمرشدة إليه لانها مستنبطة من الأدلة النقلية أو على الأدق الأدلة النقلية كاشفة لها ولتدلك على ذلك نقول إن محصلة الدليل السابق قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[٥].

التبليغ

ليس المجال هنا مجال تفصيل القول جوابا عن قضية تبليغ الرسل لوحي الله تعالى ولكن تكفينا الإشارة السريعة الموجزة إلى جوانب هذا الموضوع،

---

(١) سورة الشعراء آية ١٠٧.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٨.

(٣) سورة النساء آية ٥٨.

(٤) أم البراهين الصغرى ص١٥٢.

(٥) سورة الأعراف آية ٢٨.

Scanned with CamScanner

ولأننا نبدأ من حيث يجب الابتداء فإننا نقول.

التبليغ في اللغة مأخوذ من بلغ بمعنى أرسل، والإرسال هو توصيل الشيء إلى ما يبلغ إليهم (والإبلاغ والتبليغ هما الإيصال وفي الحديث كل رافعة رفعت علينا من البلاغ) (١).

فالرسول مبلغ عن الله تعالى رسالته إلى خلقه، وضد التبليغ الكتمان فإذا كتم الرسول ما أوحى به إليه فلا يكون مبلغاً رسالة الله بل قد ورد وعيد شديد لكل من يكتم العلم ولم يبلغه إلى الناس. قال تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(٢).

والحد الفاصل بين علماء مبلغين لرسالته تعالى بأمانة، وآخرين لم يبلغوا رسالته أو بلغوا بعضها وكتموا البعض الآخر للحصول على مآرب دنيوية من سلطة أو جاه قال الله فيهم. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٣).

الدليل على وجوب التبليغ للرسل

أمر الله تعالى رسله بتبليغ كل ما أنزل إليهم.

قال تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾(٤).

---

(١) القاموس المحيط تصنيف الفيروز أبادي باب الغين ص٧٠١.

(٢) سورة البقرة آية ١٥٩.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٤.

(٤) سورة المائدة آية ٦٧.

(ولقد روي الإمام البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدا كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب)[٤] والله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[١].

والرسول ﷺ بشر يتأثر بعواطفه ومشاعره يحب ويكره ويغضب ويرضى لكنه ﷺ يتسامى عن عواطفه ومشاعره ليلقى إلى الله تعالى بزمام نفسه، ولـيلم القارئ بما نعنيه على وجه الدقة نذكر. حديثاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: لو كان محمد ﷺ كاتما شيئا من القرآن الكريم لكتم هذه الآية ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[٢][٣].

والإمام على ﷺ الذي الهمه الله مواهب وقدرات فكرية وسـلوكية حتـى أصبح في الأمة الإسلامية عقلها وقلبها ولسانها ولا عجب فقد تربى فـي بيـت النبوة يوضح لنا هذه القضية – التبليغ – وضوحا لا تشوبه شائبة من غموض في الأثر الذي رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي جحيفة قال: سألت عليا ﷺ هـل عندكم شيء مما ليس في القرآن الكريم – وقال ابن عيينة مرة ما لـيس عنـد الناس – فقال ﷺ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلاما فـي القـرآن إلا فهما يعطي رجل في كتابه وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل فكاك الأسير وأن

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التفسير باب.﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...إلخ ﴾ جـ ٤ صـ ١٦٨٦ من طريق مسروق عن عائشة طبعة دارا بن كثير . بيروت

(٢) سورة المائدة آية ٦٧.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٧.

(٤) أخرجه الترمذى فى كتاب . تفسير القرآن . باب من سورة الأحزاب جـ٥ / ٣٢٩ وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٦ / ٢٤١ . دار صادر بيروت

Scanned with CamScanner

لا يقتل مسلم بكافر[١].

الدليل العقلي على وجوب التبليغ

بعد كل ما قدمناه الجواب يملي نفسه إملاءً بعد أن وضح الحق في قضية التبليغ وضوحا أبلج وكما قلنا الدليل العقلي ذا صلة بالدليل النقلي. وعليه يكون الدليل العقلي هو (أن الرسل لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم لأن الله تعالىٰ أمرنا بالاقتداء بهم "واللازم باطل" وهو كتمان العلم لأن كاتم العلم ملعون من الله والملائكة والناس فيثبت أنهم "عليهم السلام" لم يكتموا شيئا مما أمروا به) [٢].

الفطانة

من الصفات الواجبة للرسل "عليهم السلام" الفطانة، وقد برهن القرآن الكريم على أن الفطانة في أعمق معانيها، وأرقى تجلياتها وأدق دلالاتها وأثمن رؤاها صفة من صفات الأنبياء والمرسلين.

والفطانة في اللغة : قوة استعداد الذهن للإدراك ما يَرِدُ عليه [٣].

واصطلاحا: (هي التيقظ وحدة العقل ونكاؤه، بحيث يتمكن المتصف بها من إلزام المخالفين ورد دعاويهم الباطلة وإفحام المعاندين) [٤].

وقيل الفطانة (ملكة نفسانية بها يتمكن الرسول من رد شبهة المعاندين له

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: الديات. باب: لا يقتل المسلم بالكافر ج٦ ص٢٥٣٤. من طريق ابن عيينة عن مطرف عن الشعبي عن أبي جحيفة.

(٢) حاشية الشيخ عبد الله الشرقاوي ص١١٢.

(٣) المعجم الوجيز. باب الفاء . فصل الطاء ص ٢٤٦

(٤) شرح الخريدة ص١٠٠.

واثبات العقيدة الدينية بالأدلة العقلية) [١].

وللتدليل على فطانة الأنبياء والمرسلين، وأنهم بلغوا بفضل الله سعة في قوة الحجة ونفاذا في إلزام الخصوم يمكننا التصور الواضح لما نعنيه من خلال الأدلة النقلية.

الأدلة النقلية

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

وقال تعالى﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾[٣].

وقال تعالى ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٤]. وقال تعالىعلى لسان قوم نوح﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾[٥].

الدليل العقلي على وجوب صفة الفطانة للرسل "عليهم السلام".

(أنهم "عليهم السلام" لو لم يكونوا فطناء لكانوا مغفلين وعاجزين عن إقامة الحجج فيثبت عجزهم عن إفحام معانديهم بقيام الأدلة لدحض شبههم فيكون إرسالهم عبثا والعبث على الله تعالى محال. فتثبت صفة الفطانة للرسل "عليهم

---

(١) شرح الخريدة ص١٠٠.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٨.

(٣) سورة الأنعام آية ٨٣.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥.

(٥) سورة هود آية ٣٢.

Scanned with CamScanner

السلام")[1].

وأنه لمما يميز المرسلين أنهم أرسلوا لإقامة الحجج والبراهين على إثبات صدق دعواهم وأبطال شبه المعاندين لذا وجب اتصافهم بقوة الذكاء وشدة القريحة والعبقرية.

وأنه لمما يستوقف النظر في هذه القضية هو:

هل المرسلون "عليهم السلام" بحثوا في دائرة عقولهم عن منطق يستدل ويقيم البرهان أم أن حججهم من عند الله تعالى ؟

والجواب الذي نذكره مرهونا بالنصوص الشرعية التي تؤكد أن الله طالب الرسل بأن يقيموا موازين المنطق العقلي في كل جدال، وأيضا أعطاهم الله تعالى الحجة والبرهان وتكفينا الإشارة السريعة الموجزة لتوضيح الجانبين الأول نقرأ فيه قوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ والثاني نقرأ فيه قوله تعالى:- ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾

الجائز في حق الأنبياء والرسل

تمهيدا للوضوح الفكري الذي نبتغيه نقول: ما سبق كان الصفات الواجبة للرسل وهي صفات تتضمن بذاتها تفردا فريدا.

وها هنا في مجال – الجائز في حق الأنبياء والمرسلين فلنتمهل قليلاً ولنتأمل قليلاً حتى لا تضيع منا الفكرة، وأهميتها فيما نحن بصدد الحديث عنه فالذي نريد أن نخرج به من الجائز في حقهم "عليهم السلام" ليرسخ في أذهاننا رسوخا ثابتا هو انه يجوز في حق الأنبياء والرسل فعل الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية مثل: الأكل والشرب، والنوم والنكاح ولا

---

(1) شرح الخريدة ص١٠١.

يجوز عليهم الاحتلام لأنه من الشيطان لورود الأثر القائل (ما احتلم نبي قط) [١] فإن كان الاحتلام مجرد ماء فيضان من غير تلاعب من الشيطان فلا مانع منه كما (تجوز عليهم الأمراض التي لا تؤدي إلى النفور منهم. وأما الأمراض المنفرة مثل: الجنون والجزام، والبرص، والعمى فلم يثبت أن نبيا مرض بها) [٢].

وفي هذا السياق الذي ندلل فيه على أن الرسل أكمل الخلق من حق غيرنا أن يسأل : ألا يمكن اعتبار ما كان من يعقوب "عليه السلام" من بياض عينيه وما كان بأيوب من البلاء من الأمراض التي تؤدي إلى النفور منهم؟

والدارسون لكتاب الله يعرفون أن ما كان من يعقوب في قوله تعالى : ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٣].

كان حجابا على عينيه "عليه السلام" من شدة البكاء على يوسف "عليه السلام" والدليل على ذلك أن يعقوب "عليه السلام" لما جاءه البشير بنبأ وجود

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط بابا: من اسمه موسى" ج٨ ص٩١ عن ابن عباس قال: ما احتلم نبي قط وإنما الاحتلام من الشيطان.
قال الطبراني لم يرو هذا الحديث عن داود بن الحصين إلا ابن أبي حبيبة ولا عن ابن أبي حبيبة إلا عبد العزيز بن أبي ثابت وتفرد به إبراهيم بن المنذر. دار الحرمين ط القاهرة.
وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج١١ ص٢٢٥. وقال الهيثمي فيه عبد الكريم بن أبي ثابت وهو مجمع على ضعفه. مجمع الزوائد ج١ ص٢٦٧ ط القاهرة دار الريان.
ولنا أن نقول: ما ذكر في تخريج الحديث لا يقلل من شأنه لأن المتعارف عليه بين علماء الحديث أن الحديث الضعيف لا يرفض إلا إذا ترتب عليه حكما فقهيا. أعني ما يتعلق بالحلال والحرام.

(٢) أم البراهين الصغرى ص١٥٣.

(٣) سورة يوسف آية ٨٤.

يوسف "عليه السلام" في مصر عاد إليه بصره.

قال تعالى﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾[1].

(أما ما كان بأيوب من البلاء فلم يكن ظاهرياً حتى يكون منفراً وماشتهر من الحكايات المنفرة فهي باطلة) [2].

بعد كل ما قدمناه في قضية ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الأنبياء والمرسلين ارجو أن تكون القضية قد تبلورت وتعينت حدودها في الذهن لا يشوبها شيء من غموض تتداخل به مع غيرها من القضايا، والمدرك لأبعاد القضية وأغوارها يجب أن يقول: ثمة معيار واحد للأنبياء والمرسلين ألا وهو: أنهم بشر اصطفاهم الله تعالى لرسالته، وخصهم بمنه وفضله وعصمهم من الذنوب كبائرها وصغائرها.

و﴿ لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[3].

---

(1) سورة يوسف آية ٩٣.

(2) أم البراهين الصغرى ص١٥٣.

(3) سورة الروم آية ٤.

(١) ... ص ٢٢٠.

(٢) ... ص ٢٥٢.

(٣) ... ١.

الفصل الثانى

المعجزة

ويشتمل على :

١- تعريفها.

٢- شروطها.

٣- أنواع الخارق للعادة.

٤- إمكانها.

٥- وجه دلالتها.

٦- معجزات الأنبياء

تمهيد

المعجزة تفرض نفسها على الأذهان لأنها من عند الله تعالى، وهذا الذي يضعها فوق المناقشة، وإنه لتوهم كبير أن نرى في التقدم العلمي معجزات لأن المعجزة غير خاضعة للأسباب والمسببات.

وإذا أردنا أن نكون غاية في الدقة وجب علينا أن نقول إن دليل صدق المرسلين – المعجزة – لا يقبل الشك، وأي دليل يمكن رفضه أو الشعور بتأنيب خفي من العقل حياله إلا معجزات رب العالمين لأنه لا يجرؤ أحد على القول بإمكانية الإتيان بمثلها لأنها أرقى الأدلة على صدق رسله تعالى.

فحادثة الطوفان التي أجراها الله تعالى على يد نوح، وناقة صالح، وعصا موسى وكلمة عيسى "عليهم السلام" كلها معجزات حسية مادية تقع في مجال المشاهدة ومعجزات الخاتم ﷺ التي جمعت بين الحس والمشاهدة كلها معجزات ليس لها نظير ولا شبيه.

فالمعجزات تؤكد قيمتها بالإفلات من الزمان لذا كانت المعجزة هي الطريق الذي يجذب الخلق ويؤثر فيهم لإطاعة أسمى الأفكار والمعاني وحي الله تعالى.

المعجزة في اللغة :

جاء فى المعجم الوجيز عن معنى المعجزة فى اللغة أن قولك (عجز فلانٌ عن لشئ عَجْزاً وعَجَزَاناً :ضعف ولم يقدر عليه) [١]

---

(١) المعجم الوجيز . باب العين . فصل الجيم ص ٤٠٧

وفي الاصطلاح : هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة يظهره الله تعالى على يد مدعي النبوة أو الرسالة تصديقا له[١].

شرح التعريف

المعجزة أمر: (احتراز من القول بأنها فعل لأن الأمر يشمل: الفعل والترك والقول)[٢].

والترك مثل: عدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم "عليه السلام".

قال تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٣].

والقول: هو القرآن الكريم الذي نزل على خاتم المرسلين ﷺ فهو معجز في لفظه ومعناه

خارق للعادة:- تأتي المعجزة على غير الأسباب والمسببات والقوانين والقواعد العلمية لأنها غير خاضعة لهذه الأمور. مقرونة بالتحدي: والتحدي هو طلب المعارضة، وفي هذا احتراز عن الكرامات للأولياء فالكرامة تأييد للولي ولا يتحدى بها[٤].

ويرى الإمام القشيري في رسالته أن (المعجزة لا تفترق عن الكرامة إلا بدعوى الرسالة فقط)[٥] أعني أن الكرامة فيها معنى الإعجاز – عدم الإتيان بمثلها- ويحترز أيضا بالقول – مقرونة بالتحدي – (الإرهاصات التي تظهر متقدمة على بعثة الأنبياء بمثابة التأسيس لها وإن كانت متقدمة عليها وذلك

---

(١)أم البراهين الكبرى ص٤٣٩.

(٢) أرجوزة جوهرة التوحيد تأليف الإمام اللقانى القسم الثانى ص ٧٧

(٣) سورة الأنبياء آية ٦٩.

(٤) أم البراهين الصغرى ص١٥٦.

(٥) الرسالة القشيرية للإمام القشيري ص٢١.

كخمود نار فارس وانشقاق إيوان كسرى، والنور الذي كان يظهر في جبهة عبد الله والد النبي ﷺ وغيرها من الإرهاصات التي سبقت رسالة الخاتم ﷺ)[١].

واحترز أيضا بقوله "مقرونة بالتحدي" (عن السحر والشعوذة فإنهما يمكن معارضتهما والإتيان بمثلهما)[٢].لأن غرائب السحر والشعوذة تكمن في كون الإنسان يجهل أسبابها وطرق تعلمها وكل من عرف الأسباب وطرق تعلمهما أمكنه الإتيان بهما.

شروط المعجزة

(للمعجزة عند العلماء شروطاً ثمانية)[٣] هي:-

١- أن تكون أمراً من الله لتشمل القول، والفعل والترك. كما وضحنا آنفا.

٢- أن تكون خارقة للعادة لأن الإعجاز لا يتحقق إلا بذلك.

٣- أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة ليعلم الناس أن الله تعالى يصدقه.

وهذا الشرط يتضمن بذاته تفردا فريدا لأنه خرجت به الأمور الآتية:

(١- الكرامة ٢- المعونة ٣ - الاستدراج

---

(١) أم البراهين الصغرى ص١٥٦.

(٢) المرجع السابق ص١٥٦.

(٣) ارجوزة جوهرة التوحيد تأليف الإمام اللقانى القسم الثانى ص ٧٧ ، ٧٨ وإنظر حاشية الصاوى على شرح الخريدة ص ٩٨

٤- الإهانة)[١]

٤- أن تكون مقرونة بدعوة النبوة أو الرسالة[٢].

لأن المعجزة تصديق من الله تعالى لرسوله ﷺ، والتصديق لا يسبق الدعوة.

وخرج بهذا الشرط الإرهاصات التي تتقدم النبوة.

٥- أن تكون موافقة للدعوى[٣].

خرج بهذا الشرط ما إذا كانت مخالفة للدعوى مثل مسيلمة الكذاب حين تفل في عين الأعور لتشفى فعميت السليمة.

---

(١) قسم العلماء الخارق للعادة إلى أقسام ستة وهى:

١- المعجزة: وهي أمر خارق للعادة .... ألخ.

٢- الكرامة: وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد صالح غير مدعي النبوة.

٣- المعونة: وهي أمر خارق يظهر على يد بعض العوام تخليصا لهم من شدة.

٤- الإهانة: وهي أمر خارق للعادة يظهر على يد كاذب مدعي النبوة على خلاف مطلبه مثل مسيلمة الكذاب الذي تفل في عين أعور لتبرأ فعميت السليمة.

٥- الاستدراج: وهو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد فاسق مدعي الألوهية خديعة ومكرا. وهو المسيخ الدجال الذي قامت الأدلة القطعية على كذبه.

٦- الإرهاص: وهو أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي قبل بعثته تمهيداً وتأسيسا لنبوته. كإظلال الغمام للرسول ﷺ قبيل بعثته.

انظر أم البراهين الكبرى ص ١١٦ . وانظر حاشية الصاوى على شرح الخريدة ص ٩٨

(٢) أم البراهين الكبرى ص٤٤٨ بتصرف.

(٣) المرجع السابق ص٤٤٨.

٦- أن لا تكون مكذبة له[١]. وخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له.

فلو قال (معجزتي نطق هذا الجماد فنطق الجماد مكذبا له. بخلاف ما إذا قال معجزتي نطق هذا الميت وإحيائه فحي ونطق بأنه مفتر كذاب)[٢].

ولكى نكون على وعي كامل بما هو مضمر في الفرق بين المثالين من معان يقول الشارح (الجماد لا اختيار له فاعتبر تكذيبه له أمر إلهي. بخلاف الإنسان المختار فلا يعتبر تكذيبه لأنه ربما اختار الكفر على الإيمان)[٣].

وموضع العجب في التفسير أن الشارح لو لم يوضح الفرق بين المثالين لتعذر علينا الرؤية الواضحة لما يعنيه.

٧- أن تتعذر معارضتها[٤]. ليعلم أنها فعل الله.

وخرج بهذا الشرط السحر والشعوذة لأنهما يمكن تعلمهما والإتيان بهما.

٨- أن لا تكون في زمن نقض العادات[٥].

أعني الخوارق التي ستصحب قيام الساعة فالخوارق في هذا الوقت ليست معجزة لأن الله "جل وعلا" أخبرنا بها.

إمكان المعجزة

يتساءل العلماء عن إمكان المعجزة ودليل إمكانها ورأينا أن الممكن يسبق الفعل. لأن الممكن ما إستوى طرفاه وجودا وعدما لذلك فهو محتاج إلى مرجح يرجح أحد طرفيه " الوجود أو العدم ".

---

(١) أم البراهين الكبري ص٤٤٩.

(٢) المرجع السابق ص٤٤٩.

(٣) حاشية أم البراهين الصغرى ص١١٦.

(٤) حاشية أم البراهين الصغرى ص١١٧.

(٥) حاشية الصاوي على شرح الجريدة ص٩٨.

Scanned with CamScanner

والمعجزة وقعت لرسل الله تعالى ولم تعد متوقفة على القول بإمكانها والقرآن الكريم هو المعجزة القولية التي ثبتت بالتواتر وأخبرنا الله "جل وعلا" فيه عن كثير من معجزات المرسلين. فدليل إمكان المعجزة بين أيدينا نقرأه صباح مساء.

أقسام المعجزة

الواقع أن أقسام المعجزة يمكن استخلاصه من شروطها. لذا نضفي على شروط المعجزة دورا هاما في بيان حقيقتها، وعليه فلا خفاء في أن أقسام المعجزة ثلاثة:-

١- **الفعل:** مثل انقلاب العصا ثعباناً على يد موسى "عليه السلام" وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يد عيسى عليه السلام، ونبع الماء من بين أصابع الخاتم ﷺ.

٢- **القول:** القرآن العظيم الذي فيه خبر ما قبلنا وحكم ما بيننا ونبأ ما بعدنا.

قال تعالى ﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾[1].

٣- **الترك:** كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم "عليه السلام".

قال تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[2].

---

(١) سورة الروم آية ١: ٥.

(٢) سورة الأنبياء آية ٦٩.

معجزات الأنبياء

مدخل :

معجزات الأنبياء لا خفاء فيها لقارئ القرآن الكريم ومن التناقض أن نقارن بين معجزات المرسلين لأن معجزة كل نبي جاءت مناسبة لحال القوم الذين بعث فيهم أعني من جنس ما برع فيه قومه ليكون عجزهم عن الإتيان بمثلها أصدق دليلا على انه مرسل من عند الله تعالى. يقول القاضي عبد الجبار (جعل الله تعالى معجزة كل نبي مما يتعاطاه أهل زمانه فجعل معجزة موسى "عليه السلام" قلب العصى حية، لما كان الغالب على أهل ذلك الزمان السحر، وجعل معجزة عيسى "عليه السلام" إبراء الأكمة والأبرص لما كان الغالب على أهل زمانه الطب، وجعل معجزات نبينا محمد ﷺ القرآن، وجعله في أعلى طبقات الفصاحة لما كانت الغلبة للفصاحة والفصحاء في ذلك الزمن وبها كان يفاخر أهله)[1].

وإذ نعترف بأن معجزات الأنبياء قبل نبينا ﷺ كانت حسية فإن السر ينطلق من أن البشرية لم تكن وقتئذ من النضوج العقلي بحيث تقتنع بغير الحجة الحسية، وعندما تبدلت قوانين العقل على مر القرون وأنها لم تزل مستمرة في التبدل والتطور تحت أنظارنا فإنه يترتب على هذا أن يؤيد الخاتم ﷺ بمعجزات حسية وعقلية لتستوعب كل أصناف البشر من يقنع فيهم بالمحسوس ومن يقتنع منهم بالبرهان العقلي لتكون الرسالة الخاتمة هي آخر رسالات السماء لأي شخص يفحص الأدلة دون تحيز. بل مما لا شك فيه أن القرآن المعجزة العقلية الخالدة قد انتهى الأمر بقيامه ورسوخه بين جميع البشر حتى الناطقين بغير العربية من العلماء يجدون فيه إشارات كونية تدل على أنه من عند الله تعالى ونجد فيه نحن فوق ذلك أسلوباً معجزاً وتشريعات محكمة وعلوماً متنوعة وأخباراً صادقة وكفانا عجز المعاندين عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه.

---

(1) شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ص٧٢.

ولابد لي هنا أن أشير إلى أننا سنقتصر في بحثنا لمعجزات الأنبياء على معجزات موسى وعيسى ومحمد "صلوات الله عليهم أجمعين" وذلك لسببين.

الأول: أن هؤلاء الأنبياء أخذوا عند اتباعهم أقسام الزمن الثلاثة ماضيها وحاضرها ومستقبلها.

فموسى "عليه السلام" يزعم اليهود أنه نبيهم – وقد كان قبل عيسى "عليه السلام" – ونزلت عليه التوراة وقد نبهنا القرآن الكريم أنه اعتراها التحريف والتبديل.

وعيسى "عليه السلام" يزعم النصارى أنه نبيهم ونزل عليه الإنجيل وقد نبهنا القرآن الكريم أنه اعتراه التحريف والتبديل. لأن الكتب السابقة على القرآن الكريم ترك الله حفظها للبشر فحرفت وبدلت لذا حفظ الله تعالى القرآن الكريم لأنه المنهج الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

والمسلمون يؤمنون بنبيهم محمد ﷺ وبكل رسل الله لأن دين الله واحد من لدن آدم إلى محمد ﷺ.

قال تعالى﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾[2].

الثاني: أن هذا البحث وضع لبيان عصمة الأنبياء وعليه فالحاجة تدعونا لإستقراء علمي ناقص وهو أساس البحث العلمي الحديث .

---

(1) سورة الحجر آية ٩.

(2) سورة آل عمران آية ٨٥.

معجزات موسى عليه السلام

قلنا آنفا معجزات كل نبي كانت تلائم عصره الذي ظهر فيه وبيئته التي عاش فيها وأن القرآن الكريم يلائم كل العصور لأنه الرسالة الخاتمة.

ولقد اشتهر قوم موسى "عليه السلام" بالسحر فأيده الله تعالى بمعجزة العصا التي انقلبت إلى حية تسعى تلقف ما جاء به السحرة لتدحض أباطيلهم وتظهر الحق على يد موسى تصديقا لدعواه. وقد كانت نتيجة التحدي دليلا على صدقه عليه السلام فآمن السحره.

والله جل وعلا جمع معجزات موسى "عليه السلام" في آية واحدة وفصلها في آيات.

قال تعالى﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾[1].

والمعجزات التي ذكرتها الآية الكريمة هي: العصا- واليد- والسنين- والبحر- والطوفان- والجراد- والقمل- والضفادع- والدم.

قال تعالى﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى﴾[2].

وقال تعالى﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾[3].

وقال تعالى﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

---

(1) سورة الإسراء آية ١٠١.

(2) سورة طه الآيات ١٧: ٢١.

(3) سورة طه آية ٢٢.

يَذَّكَّرُونَ﴾[1].

وقال تعالى﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ﴾[3].

معجزات عيسى عليه السلام

بالطبع تختلف المفاهيم المحورية من عصر إلى عصر فليس ما ساد عصر موسى "عليه السلام" هو نفسه ما ساد عصر عيسى "عليه السلام" وذلك التباين هو الذي يفسر لنا منطق علاقة معجزات عيسى "عليه السلام" بالقوم الذين بعث فيهم – وبكل اختصار – فقد بعث "عليه السلام" بالروح في قوم غلبت عليهم المادة. والذي يهمنا في اختلاف التصور على النحو المذكور هو ما قد حدث في هذا الصدد. فقد أيد الله نبيه بالحجة والبرهان لينفتح الباب الذي يدخل منه "عليه السلام" إلى قوم أنكروا العالم الأخروى لتنبض قلوبهم مع معجزات الخالق "سبحانه وتعالى" نبضات إيمانية صنعتها قدرته سبحانه وتعالى، وتلك المعجزات كانت منذ ولادته "عليه السلام" من غير نطفة سابقة ونطقه من غير تعلم سابق وتلك كانت المعجزة الأولى التي أعجزتهم عن إنكار الروح فاعترفوا بأن الإنسان مكون من جسد ورح لا جسد فقط وعليه فهناك حياة أخروية فيها بعث وثواب وعقاب.

---

(1) سورة الأعراف آية ١٣٠.

(2) سورة يونس آية ٩٠.

(3) سورة الأعراف آية ١٣٣.

وعلى ضوء هذا الذي أسلفناه ندرك النقطة المهمة في علاقة معجزات عيسى "عليه السلام" بالقوم الذين بعث فيهم وهم اليهود، ونتأمل معجزاته "عليه السلام" لنستحضر في أذهاننا بوضوح دلائل قدرته "سبحانه وتعالى" ونتعلم كيف نرد المعجزات إلى خالقها فلا ننخدع فنظن معجزات نبي أولى من معجزات نبي آخر.

قال تعالى﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[1].

ونتناول الآن – في إيجاز شديد – معجزات عيسى عليه السلام وإنا لنلحظ في القرآن الكريم أن معجزاته "عليه السلام" خمس ذكر منها القرآن الكريم أربع معجزات في آية واحدة.

قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[2].

من هذه الآية الكريمة نستنبط أربع معجزات لسيدنا عيسى – عليه السلام – .

الأولى: كلامه "عليه السلام" في المهد – كما ذكرنا آنفا –.

الثانية: أنه "عليه السلام" يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله.

فقد أجرى الله تعالى الخلق على يد عيسى "عليه السلام" تصديقا لنبوته وشهادة على قومه بأنه نبي مرسل من عند الله تعالى.

---

(1) سورة النساء آية ٧٨.

(2) سورة المائدة آية ١١٠.

الثالثة: إحياؤه "عليه السلام" للموتى بإذن الله.

فالمحي هو الله القدير ولكنه سبحانه وتعالى أجرى الإحياء على يد عيسى "عليه السلام" برهانا لنبوته وتصديقا لرسالته.

الرابعة: إبراؤه "عليه السلام" للأكمه والأبرص بقدرته تعالى وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على داوء لهما لتبقى المعجزة باقية يتحدى بها دليلا على صدق رسالته "عليه السلام".

وأما المعجزة الخامسة: فقد كانت نزول المائدة من السماء فقد طلب حواري المسيح "عليه السلام" منه نزولها لتكون شاهد صدق ودليل حق على نبوته " عليه السلام ".

قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وأما المعجزة السادسة: فقد كانت إخباره "عليه السلام" بأمور غيبية أراد الله بها أن يؤكد لقومه وحواريه أنه نبي مرسل.

قال تعالى ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(1) سورة المائدة الآيات ١١٢: ١١٥.

(2) سورة آل عمران آية ٤٩.

معجزات محمد ﷺ

المعجزات السابقة لأنبياء الله ورسله "صلوات الله عليهم أجمعين" كانت كلها حسية.وهي معجزات كان لها أثرها الفعال على الإنسان وقتئذ. ولكن معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ تضمنت مع ذلك – المعجزات الحسية – شيئا فريداً قائما وحده بخصائصه المميزة دون سائر المعجزات السالفة عليه في التاريخ القديم، وكان أساس المعجزة المعنوية الجديدة – القرآن الكريم – في عمق أعماقها يرجع إلى كونها الرسالة الخاتمة التي ستتوالى عليها عصور بعد عصور بخضم هائل من فنون القول وضروب الفكر وألوان التيارات التي سيجد أصحابها أنهم بكل ما أفرزتهم قرائحهم امام معجزة لا يرتاب في آياتها مرتاب حتى الكافر ما سمي كافرا إلا لأنه غطى تلك الحقيقة.

وإذا استعرضنا أولاً: في إيجاز شديد معجزات الخاتم ﷺ الحسية فإننا نجد أنه ﷺ ظهرت منه أمور خارجة عن العادة وتنقسم إلى أمور ثابتة في ذاته وأمور خارجة عنها فالأول (كونه مختونا مسروراً) واضعا إحدى يديه على عينيه والأخرى على سوأتيه مع خاتم النبوة بين كتفيه ... والثاني (كونه غاية في صفات الكمال) من الصدق والشجاعة، والفصاحة، والسماحة، والزهد، والتواضع لأهل المسكنة والشفقة على الأمة، والمصابرة على متاعب الرسالة والمواظبة على مكارم الأخلاق وبلوغ النهاية في العلوم والمعارف الإلهية[1].

أما كونه ﷺ مستجاب الدعوة فنذكر دعاءه (على عتبة ابن أبي لهب اللهم سلِّط عليه كلبا من كلابك فافترسه الأسد)[2].

والثالث : الإرهاصات التى تسبق النبوة (كخرور الأوثان) ليلة ولادته وسقوط شُرف قصور الأكاسرة، وإظلال السحاب عليه وانشقاق القمر، وانقلاع

---

(1) تقريب المرام للشيخ السنندجي بشرح تهذيب الكلام للإمام التفتازاني ص٥١، ٥٢

(2) المرجع السابق ص٥٢.

الشجر، وتسليم الحجر، ونبوع الماء من بين أصابعه إلى أن رويت الجنود ودوابهم وشبع الخلق الكثير من طعام يسير وحنين الجذع في مسجد المدينة حين انتقل منه إلى المنبر وشكاية الناقة من صاحبها وشهادة الشاة المشوية يوم خيبر بأنها مسمومة وتسبيح الحصى وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى(١).

وننتقل إلى معجزته ﷺ المعنوية – القرآن الكريم – الذي بلغ في حياة العالمين ما لم يبلغه سواه لأنه كلام رب العالمين فالناس في خضم مشاعرهم وأفكارهم وأفعالهم تتساب بهم الحياة أو تتعثر لكنهم دائمو السؤال عنه بل تتنفسه البشرية شهيقا وزفيراً فما هذا القرآن في لبه وصميمه منذ نزوله إلا إزاحة لرغوة الحياة الكافرة لينكشف ما تحت الرغوة من حقيقة المنهج الرباني وما يشتمل عليه لإسعاد البشرية. واعجب ما شئت وما شاءت لك الحقيقة من عجب أن يجد كل عالم في القرآن الكريم ما يهديه إلى أنه من عند الله.

والمبدأ الهادي لنا في معجزات الأنبياء أن المعجزة تكون من جنس ما برع فيه القوم ولقد نزل القرآن الكريم على أمة باغت من الفصاحة والبيان شأوا بعيدا. فقد كانت أمة تعقد الندوات ليتباروا في الخطابة والشعر والنثر، وكانت أسواق عكاظ وغيرها دليلاً على مدى اعتناء الأمة بفصاحة القول وبلاغة الكلمة فكانت رسالته ﷺ من جنس ما برعوا فيه ومن منهله يرتشفون. يقول الإمام محمد عبده (نزل القرآن الكريم في عصر اتفق فيه الرواة وتواترت الأخبار على أنه أرقى الأعصار عند العرب، وأغزرها مادة في الفصاحة والبلاغة وتحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بعشر سور أو بسورة مثله، وأنه مع طول زمن التحدي، ولجاج القوم في التحدي أصيبوا بالعجز ورجعوا بالخيبة، وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام، وقضى حكمه العلي على جميع الأحكام، وتحداهم

---

(١) تقريب المرام القسم الثاني ص٥٢.

وعجزوا، وأثبت عجزهم)[١].

ولقد كفانا القرآن الكريم الرد على المشكلة التي طرحت منذ فلاسفة اليونان، والتي كانت خاصة بمنشأ اللغة وخصص لها أفلاطون محاورة بأسرها. دلل فيها على أن (اللغة ليست مجرد اتفاق حر بين الناس لأنها لو كانت مجرد اتفاق لجاز للناس أن يغيروا من اتفاقهم مرة بعد مرة بغير ضابط ليس في مفردات اللغة فقط بل أيضا في القواعد والتراكيب)[٢].

نعم إن أمر منشأ اللغة عجب من عجب لأننا نتساءل. هل فرضت اللغة على الإنسان من خارجه أو كان هو الذي اصطلحها لنفسه ؟

وها نحن نعود إلى إجابة القرآن الكريم التي لها عندنا أهمية قصوى، والإجابة تكمن في قوله تعالى وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلاَئِكَةِ فَقَالَ ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاَءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣].

وفي وسع الخيال البشري أن يسأل من الذي علم أدم الأفعال ؟

وقد يبدو السؤال غريبا للوهلة الأولى لكن العلماء ارتأوا (أن لكل فعل اسم لذا قال الله تعالى الأسماء كلها بما فيها أسماء الأفعال)[٤].

ومن البدهي أن الكلمة: اسم وفعل وحرف وأن الحرف هو بنية الكلمة.

ولنعد بعد هذه اللمحة الخاطفة من موقف القرآن الكريم من نشأة اللغة إلى بلاغة القرآن الكريم وفي إيجاز شديد نقول قبل الولوج في أسرار بلاغته إن

---

(١) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ص١٣١.

(٢) في تحديث الثقافة العربية ٢٤ اللغة .... هذا المخلوق العجيب ! للأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود مقاله بجريدة الأهرام المصرية ص ١٣ في ١٩٨٧/٣/١٠

(٣) سورة البقرة آية ٣١.

(٤) تفسير الشيخ الشعراوي للآية ٣١ من سورة البقرة.

فصاحته لا تنتقل إلى أي عالم به، فالنحوي الذي يرتشف منه والأديب الذي يدلل على سر بلاغته والفقيه الذي يستنبط منه والمحدث الذي جعله مصدره الأول، والمفسر الذي نظر في كل ما سبق، والعقدي الذي فلسف الدين، ودين الفلسفة هؤلاء وغيرهم تبين لهم كم هو محال من المحال أن يصلوا بتراكيبهم اللغوية إلى فصاحة القرآن الكريم فلاذوا باستخدام ألفاظه الكريمة بدلا من أن يضعوا أفكارهم في ألفاظ أخرى لينقلوها إلي غيرهم، وسر عدم انتقال بلاغة القرآن الكريم إلى العالم به قضية غير قابلة للتحليل. مع العلم بأن اللغة مجموعة جمل وكل جملة مجموعة كلمات وكل كلمة مجموعة حروف، ولكن تعجز بلاغة العالم عن الوصول لدقة وعذوبة وفصاحة وبلاغة القرآن الكريم.

أقول إنها لمفارقة عجيبة أن نجد الحروف ونجد أمامنا التراكيب ونعجز عن الإتيان بالمثل.

قال تعالى﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1].

لذا رأى العلماء بعد أن قطعوا شوطا بعيداً في تحليل الفكر القرآني الكريم متمثلاً في لغته أن وجوه إعجازه كثيرة – وفي إيجاز شديد – نتعرف على وجهات النظر فرادى.ففريق ارتأى أن (إعجاز القرآن الكريم من جهة تاليفه وأسلوبه العجيب الذي لم يعهدوه لا في شعرهم ولا في نثرهم فأوائل السور وأواخرها وكذا أوائل الآيات وأخرها وقعت على وجه لم يألفه أهل الفصاحة والبيان وكانوا عاجزين على الإتيان بمثل أقصر سورة منه)[2].

---

(1) سورة البقرة آية ٢٣، ٢٤.

(2) تفسير ابن كثير . المجلد الأول. الجزء الأول ص ٥٢ ، ٥٣ .

وكان رأي هذا الفريق أن القرآن الكريم معجز بفصاحته التي تتضمن تفردا فريدا.

وإنه لما يستوقف النظر أن القرآن الكريم له تأثير في نفوس سامعيه فقد سمعه الوليد بن المغيرة وهو كافر فتأثر به وأثنى عليه ثناء جميلا حينما رجع إلى قومه.

وأي عجب أن نرى "الناطقين بغير العربية"[١] يؤثر في نفوسهم ويرددون آياته بل أجزاء منه وهم لا يتكلمون العربية.

قال تعالى﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢].

والفريق الثاني:- يصب اهتمامه في وجه إعجازه على بلاغته التي بلغ فيها أعلى منزلة وأرفع مكانة (من معان كثيرة بألفاظ قليلة ومن ألوان لاستعارات والتشبيهات والكنايات وضروب المجاز وصنوف البديع من جناس إلى مشاكله إلى توريه وحسن التخلص ... الخ) مما حكاه علماء البلاغة الذين ظلوا حريصين أشد الحرص على معرفة النغم في كلمات القرآن الكريم، وكان ما شدهم شدا إلى القرآن الكريم اللفظ وحسن انتقائه وجمال تركيبه.

وفريق ثالث:- أضاف إلى ذلك كله إخباره بالغيب مثل

قوله تعالى﴿الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[٣].

وفريق رابع:- ارتأى أن وجه إعجازه هو عدم اختلافه وتناقضه مع طوله

---

(١) رأيت هذا بعين رأسي وسمعته أذني حينما كنت معارا من قبل الأزهر الشريف للتدريس بجامعة ساي بدولة النيجر سنة ١٩٩٦ إلى عام ١٩٩٩.

(٢) سورة الرعد آية ٢٨.

(٣) سورة الروم آية ١: ٤.

وامتداده على مر السنين.

قال تعالى﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[١].

والذي ذكرناه عن العلماء – كل في تخصصه – موضع قبول عند الجميع ما دام هو حديثنا عن وجوه إعجاز القرآن الكريم.

لكن يختلف أصحاب الفكر مع الفريق الخامس بل ويرون أن أصحاب هذا الفكر بعدوا عن الحق بعدا أفسد صواب ما ارتأوه، وقد استهدفنا أن نوقظ الوعي قبل ذكر الرأي.

الفريق الخامس: الذي يرى أن وجه إعجاز القرآن الكريم هو "الصرفة" بمعنى أن العرب كانوا يستطيعون الإتيان بمثله ولكن الله صرفهم عن ذلك.

ومعنى ذلك أن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا أحدث في العرب عقم الإبداع ليلجأوا إلى الاعتراف بالعجز عن معارضة القرآن الكريم.

ويرى الإمام ابن كثير (أن قول بعض المتكلمين بالصرفة يوهم بأن القرآن الكريم ليس بمعجز في نظرهم)[٢].

وهذا القول الأخير لا يؤثر في الحقيقة القائمة فالقرآن الكريم ذا أثر عميق في عقول الناس وقلوبهم، ودع عنك هذا الرأي الخامس لأن القرآن الكريم ينفرد دون سواه من الكتب السماوية المعلومة لدينا بإعجازه بمجموع الوجوه التي استطاع العلماء استخلاصها منه.

والذي نريد أن نضيفه إلى هذا كله أن القرآن الكريم جمع في آياته الكريمة بين الروح والجسد بين المعنى والمادة بين العمل للدنيا والآخرة بين الدين والدولة بين العقيدة والشريعة.

---

(١) سورة النساء آية ٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير .المجلد الأول . الجزء الأول . الآية: ٢٤من سورة البقرة ص ٥٣ .

قال تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

والذي نري أن نخرج به من معجزات الأنبياء "صلوات الله عليهم أجمعين" أنها الدليل على صدق المرسلين وبغيرها يفقد المدعى للنبوة أهليته ليكون من أنبياء الله ورسله.

---

(1) سورة الأنعام آية ٣٨.

الفصل الثالث

عـصـمة الأنـبـيـاء

ويشتمل على :

١- معنى العصمة لغة وإصطلاحا

٢- الأدلة العقلية والنقلية على عصمة الأنبياء

٣- عصمتهم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" فى الأمور الإعتقادية

٤- عصمتهم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" فى التبليغ

٥- عصمتهم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" فى الفتوى

٦- عصمتهم "صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين" فى أفعالهم وأحوالهم

العصمة

نقطة البدء كما هو منهجنا – تعريف العصمة لغة واصطلاحا.

والعصمة في اللغة مطلق الحفظ أو المنع.

قال صاحب لسان العرب : (العصمة: المنع وقال الزجاج في معنى قوله تعالى ﴿ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ﴾[١] أي يمنعني من الماء ... واعتصم فلان بالله: إذا امتنع به، واعتصمت بالله: إذا امتنعت بلطفه من المعصية) [٢].

والمعنى اللغوي في قضية العصمة تبلور وتعينت حدوده لا يشويه شيء من غموض يتداخل به مع غيره والمعنى الاصطلاحي على الأرجح يزيد المعنى اللغوي وضوحا يتضح ذلك من خلال تعريف أهل الشرع للعصمة بأنها:(ملكة نفسانية تمنع عن الفجور وتتوقف على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات.

وقيل: العصمة هي: حفظ ظاهر الأنبياء والرسل من المعاصي والذنوب كبائرها وصغائرها.

وقيل: إنها لطف منن الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير ويزجره عن الشر مع بقاء الاختبار تحقيقا للابتلاء) [٣].

وإنا لنلحظ أن العلماء اتفقوا في الصيغة الجوهرية لمعنى العصمة وإن كنا نميل إلى التعريف الأخير ونرى أنه أشد تمييزاً من أي تعريف آخر لأنه يربط العصمة للأنبياء والمرسلين بلطفه وعنايته "جل وعلا" وهذا ما أريد أن أعتقده .

---

(١) سورة هود آية ٤٣.

(٢) لسان العرب ج١٢. باب العين.فصل الصاد ص٣، ٤.

(٣) نسيم الرياض. شرح الشفاء للإمام احمد شهاب الدين الخفاجى ج٤ ص٣٩.

Scanned with CamScanner

ولنبدأ أولاً بذكر الأدلة العقلية والنقلية لعصمة الأنبياء "عليهم السلام".

الأدلة العقلية والنقلية على عصمة الأنبياء

الأدلة العقلية والنقلية على عصمة الأنبياء تقوض شبه أصحاب الملاحظات الشكوكية لأن إطلاق الشبه على أشرف الخلق بغير دليل عقلي تكون شبه جوفاء وبغير دليل نقلي تكون شبه عمياء.

والحجج العقلية المدعمة بالأدلة النقلية التي صاغها صاحب كتاب عصمة الأنبياء[١] هي:

الحجة الأولى: لو صدر الذنب عنهم لكنا حالهم في استحقاق الذم عاجلاً والعقاب آجلا أشد من حال عصاه الأمة وهذا باطل فصدور الذنب أيضا باطل، بيان الملازمة: أن أعظم نعم الله على العباد هي نعمة الرسالة والنبوة، وكل من كانت نعم الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب عنه أفحش، وصريح العقل يدل عليه[٢].

ويؤكد الإمام الرازي دليله العقلي بثلاثة وجوه من الأدلة النقلية.

الأول: قوله تعالى :﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾[٣].

وقوله تعالى﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[٤].

الثاني: أن المحصن يرجم وغيره يجلد.

روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد

---

(١) عصمة الأنبياء تأليف الإمام فخر الدين الرازي ص٤: ١٠

(٢) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٤.

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٢.

(٤) سورة الأحزاب آية ٣٠.

Scanned with CamScanner

رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:" واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها " (١).

قال تعالى﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾(٢).

الثالث: أن العبد يحد نصف حد الحر.

قال تعالى ﴿ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾(٣).

(فثبت بما ذكرنا أنه لو صدر الذنب عنهم "عليهم السلام" لكان حالهم في استحقاق الذم العاجل والعقاب الآجل فوق حال جميع عصاة الأمة، إلا أن هذا باطل بالإجماع فإن أحداً لا يجوز أن يقول إن الرسول أحسن حالا عند الله وأقل منزلة من كل أحد. وهذا يدل على عدم صدور الذنب عنهم)(٤).

الحجة الثانية: لو صدر الذنب عنهم لما كانوا مقبولي الشهادة لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(٥).

أمرنا الله تعالى بالتبين أو بالتثبت والتوقف في قبول شهادة الفاسق، إلا أن هذا باطل فإن من لم تقبل شهادته في حال الدنيا فكيف تقبل شهادته في الأديان الباقية إلى يوم القيامة وأيضا فإنه تعالى شهد بأن محمداً عليه الصلاة والسلام

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة باب الوكالة في الحدود ج٣ ص٨١٣ "ضمن حديث طويل".

(٢) سورة النور آية ٢.

(٣) سورة النساء آية ٢٥.

(٤) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٤.

(٥) سورة الحجرات آية ٦.

شهيد على الكل يوم القيامة[١].

قال تعالى﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[٢].

(ومن كان شهيداً لجميع الرسل يوم القيامة كيف يكون بحال لا تقبل شهادته)[٣].

الحجة الثالثة: لو صدر الذنب عنهم "عليهم السلام" لوجب زجرهم، لأن الدلائل دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكن زجر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير جائز لقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[٤].

فكان صدور الذنب عنهم ممتنعا.

الحجة الرابعة: لو صدر الفسق عن إمام المرسلين ﷺ لكان حالنا إما أن نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا لا يجوز أو لا نكون مأمورين بالاقتداء به وهذا أيضا باطل لقوله تعالى :﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٥].

وعليه كان صدور الفسق عنه ﷺ محالا.

الحجة الخامسة: لو صدرت المعصية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لوجب أن يكونوا موعودين بعذاب الله في جهنم[٦].

---

(١) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٥.

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٥.

(٤) سورة الأحزاب آية ٥٧.

(٥) سورة آل عمران آية ٣١.

(٦) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٥.

Scanned with CamScanner

لقوله تعالى﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١).

ولكانوا ملعونين لقوله تعالى ﴿ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٢).

وبإجماع الأمة هذا باطل فكان صدور المعصية عنهم باطلا.

الحجة السادسة:- أنهم "عليهم الصلاة والسلام" كانوا يأمرون بالطاعات وترك المعاصي، ولو تركوا الطاعة وفعلوا المعصية لدخلوا تحت قوله تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾(٣).

وتحت قوله تعالى﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾(٤).

ومعلوم أن هذا في غاية القبح، لذا أخبر الله تعالى عن رسوله شعيب "عليه الصلاة والسلام" أنه برأ نفسه من ذلك(٥).

قال تعالى﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾(٦).

الحجة السابعة: قال الله تعالى في صفة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾(٧) والألف واللام في صيغة الجمع تفيد العموم فدخل تحت لفظ الخيرات فعل كل ما ينبغي وترك كل ما لا ينبغي، وذلك يدل على أنهم كانوا فاعلين لكل الطاعات وتاركين لكل المعاصي(٨).

---

(١) سورة النساء آية ١٤.

(٢) سورة هود آية ١٨.

(٣) سورة الصف آية ٢، ٣.

(٤) سورة البقرة آية ٤٤.

(٥) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٦.

(٦) سورة هود آية ٨٨.

(٧) سورة الأنبياء آية ٩٠.

(٨) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٦.

Scanned with CamScanner

الحجة الثامنة:- قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾[١] واللفظين أعني قوله تعالى ﴿ الْمُصْطَفَيْنَ﴾ وقوله تعالى ﴿الأَخْيَار﴾ يتناولان جملة الأفعال والتروك، فدلت هذه الآية على أنهم كانوا من المصطفين الأخيار في كل الأمور.

وهذا ينافي صدور الذنب عنهم وآيات الاصطفاء للأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم كثيرة.

ولا يقال: الاصطفاء لا يمنع من فعل الذنب، بدليل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٢]

قسم المصطفين إلى الظالم والمقتصد والسابق، لأنا نقول: الضمير في قوله (فمنهم) عائد إلى قوله تعالى (من عبادنا) لا إلى قوله تعالى (الذين اصطفينا) لأن عود الضمير إلى أقرب المذكورين واجب[٣].

الحجة التاسعة: قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٤] استثنى المخلصين من إغوائه وإضلاله ثم إنه تعالى شهد على إبراهيم وإسحاق ويعقوب "عليهم الصلاة والسلام" أنهم من المخلصين[٥].

قال تعالى﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ﴾[٦].

وقال تعالى في حق يوسف "عليه الصلاة والسلام".﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

---

(١) سورة ص آية ٤٧.

(٢) سورة فاطر آية ٣٢.

(٣) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٧.

(٤) سورة ص آية ٨٢، ٨٣.

(٥) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٧.

(٦) سورة ص آية ٤٦.

﴿الْمُخْلَصِينَ﴾[١].

فلما أقر إبليس أنه لا يغوي المخلصين، وشهد الله بأن هؤلاء من المخلصين ثبت أن إغواء إبليس ووسوسته ما وصلت إليهم، وذلك يوجب القطع بعدم صدور المعصية عنهم[٢].

الحجة العاشرة: قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣] فهؤلاء الذين لم يتبعوا إبليس إما أن يقال: إنهم الأنبياء أو غيرهم ... وتفضيل غير النبي على النبي باطل بالإجماع. فوجب القطع بأن أولئك الذين لم يتبعوا إبليس هم الأنبياء "عليهم الصلاة والسلام".

الحجة الحادية عشرة: أنه تعالى قسم المكلفين إلى قسمين: حزب الشيطان كما قال تعالى ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾[٤] وحزب الله كما قال تعالى ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥].

ولا شك أن حزب الشيطان هو الذي يفعل ما يريد الشيطان ويأمر به، فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لصدق عليهم أنهم من حزب الشيطان ولصدق عليهم قوله تعالى ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ ولصدق على الزهاد من آحاد الأمة قوله تعالى ﴿أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وحينئذ يلزم أن يكون واحد من آحاد الأمة أفضل بكثير من الأنبياء، ولا شك في بطلانه[٦].

---

(١) سورة يوسف آية ٢٤.

(٢) عصمة الأنبياء للرازي ص٧، ٨.

(٣) سورة سبأ آية ٢٠.

(٤) سورة المجادلة آية ١٩.

(٥) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٦) عصمة الانبياء للرازي ص٨.

Scanned with CamScanner

الحجة الثانية عشرة: إن العلماء رحمهم الله بينوا أن الأنبياء أفضل من الملائكة لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾(١).

وثابت بالدلالة أن الملائكة ما أقدموا على شيء من الذنوب.

قال تعالى﴿ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٢).

فلو صدرت الذنوب عن الأنبياء لامتنع أن يكونوا زائدين في الفضل على الملائكة لقوله تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾(٣).

الحجة الثالثة عشرة: قال الله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾(٤) والإمام هو الذي يقتدي به فلو صدر الذنب عن إبراهيم لكان اقتداء الخلق به في الذنب واجبا وإنه باطل(٥).

الحجة الرابعة عشر:

قوله تعالى ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(٦).

فكل من أقدم على الذنب كان ظالما لنفسه لقوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾(٧).

---

(١) سورة البقرة آية ٣٤.

(٢) سورة التحريم آية ٦.

(٣) سورة ص آية ٢٨.

(٤) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٥) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٩.

(٦) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٧) سورة فاطر آية ٣٢.

Scanned with CamScanner

وإذا عرفت هذا فنقول :

ذلك العهد الذي حكم الله تعالى بأنه لا يصل إلى الظالمين إما أن يكون النبوة أو عهد الإمامة، فإن كان الأول فهو المقصود، وإن كان الثاني فالمقصود أظهر، لأن الإمامة أقل درجة من عهد النبوة، فإذا لم يصل عهد الإمامة إلى المذنب العاصي، فإن عهد النبوة أولى[١].

الحجة الخامسة عشرة:(روى أن خزيمة بن ثابت الأنصاري ﷺ شهد على وفق دعوى النبي ﷺ مع انه ما كان عالما بتلك الواقعة فقال خزيمة: إني أصدقك فيما تخبر عنه من أحوال السماء، أفلا أصدقك في هذا القدر؟! فلما ذكر ذلك صدقه النبي ﷺ فيه ولقبه بذي الشهادتين)[٢] ولو كان الذنب جائزاً على الأنبياء لكانت شهادة خزيمة غير جائزة.

هذه مجموعة الحجج والدلائل العقلية والنقلية على عصمة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وقد اعتمدنا في هذه الأدلة على الإمام الرازي في كتابة عصمة الأنبياء والسر ينطلق من أن الإمام الرازي في هذه الأدلة كان أقرب إلى

---

(١) عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص٩.

(٢) هو خزيمة بن ثابت الأنصاري من السابقين الأولين روى عنه ابنه عمارة أن النبي ﷺ اشترى فرسا من سواد بن قيس المحاربي فجحده سواد فشهد خزيمة للنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً؟ قال: صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقا فقال النبي ﷺ من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه وجعل شهادته بشهادتين – انظر عصمة الأنبياء للإمام الرازي ص١٠.
وأخرج الحاكم في المستدرك في كتاب البيوع ج٢ ص٢١ ضمن حديث طويل= =جاء فيه (... فطفق الأعرابي يقول هلم شهيدا أني بايعتك فقال خزيمة أشهد أنك بايعته فأقبل رسول الله ﷺ على خزيمة فقال بم تشهد فقال بتصديقك فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ورجاله باتفاق الشيخين ثقات ولم يخرجاه.

القصد وأبعد عن التطويل.

والذي نريد أن نخرج به إجمالا من قضية عصمة الأنبياء ليرسخ في أذهاننا رسوخا ثابتا هو أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معصومون في:

أولاً: الأمور الاعتقادية

فقد أجمعت الأمة على ان الأنبياء والمرسلين معصومون من الكفر يقول صاحب المواقف (وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها ولا خلاف لأحد منهم في ذلك)(١).

وقد استدل على تنزيه الأنبياء عن الكفر والإشراك بالله قبل النبوة بقوله تعالى :﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢).

وبقوله تعالى﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾(٣).

والمفسرون على أن الميثاق المذكور في الآيتين الكريمتين هو (عهدهم "صلوات الله عليهم أجمعين" على الوفاء بما حملوا وأن يبشر بعضهم ببعض وأن يصدق بعضهم ببعض) (٤).

ولكننا نرى أن الميثاق المذكور هو الإيمان بالله تعالى في الأزل – عالم

---

(١) المواقف للإيجي ص١٣٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٨١.

(٣) سورة الأحزاب آية ٧.

(٤) انظر تفسير الطبري والقرطبي ج٨ ص٥٢٠٩ والشوكاني وابن كثير وغيرهم.

Scanned with CamScanner

الذر – قبل أن يخلقوا " صلوات الله وسلامه عليهم " يؤيدنا فيما ذهبنا إليه الأئمة القشيري وابن القيم والشعراوي "رحمهم الله تعالى".

يقول الإمام القشيري (أخذ الله الميثاق على النبيين في عالم الأزل بالإيمان به سبحانه وتعالى ثم أخذ ميثاق النبيين بالإيمان بمحمد ﷺ)(١).

والذي ذكره الإمام القشيري موضع قبول عند الإمام ابن القيم بل ويذهب إلى أبعد من ذلك وهو أن الله "جل وعلا" أخذ الميثاق على العالمين بالإيمان به سبحانه وتعالى حتى قيل إن الكفر دليل الإيمان لأن الكفر في معناه الظاهر هو التغطية يقال كفر الذرع إذا غطاه فالكافر غطى تلك الحقيقة والرسل صلوات الله وسلامه عليهم بعثوا بها. واستدل ابن القيم على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(٢).

ويكشف – الشيخ الشعراوى– النقاب عن الآية الكريمة بقوله (إن الله سبحانه وتعالى قال: من بني أدم ولم يقل من أدم وقال سبحانه وتعالى من ظهورهم ولم يقل من ظهره. وقال سبحانه وتعالى ذريتهم ولم يقل ذريته وقال سبحانه وتعالى وأشهدهم ولم يقل وأشهده وهذا دليل على أن الميثاق أخذه الله سبحانه وتعالى على العالمين) (٣).

ويرى – الشيخ الشعراوى (أن قوة الميثاق في أن يأخذه الله سبحانه وتعالى على العالمين وليس على آدم وحده)(٤).

---

(١) نسيم الرياض شرح الشفاء تأليف أحمد شهاب الدين الخفاجي ج٤ ص٤١.

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢.

(٣) تفسير الشيخ الشعراوى للآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

(٤) تفسير الشيخ الشعراوي للآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

Scanned with CamScanner

ثانيا: ما يتعلق بتبليغ جميع الشرائع والأحكام

قضية تبليغ الرسل لجميع الشرائع والأحكام نصرح بها مباشرة وعلى الفور وبدون صعوبة لأنها قضية ننطقها بغير لبس وتفرض ذاتها على الأذهان لصدقها بل يضعها العقل فوق المناقشة وينبغي أن نستخلص من هذا أن الأمة أجمعت على أنه لا يجوز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التحريف في الشرائع والأحكام لا عمدا ولا سهوا لأنها خيانة وهم معصومون.

والآية القرآنية الكريمة التي على جانب كبير من الأهمية في هذه القضية وتضفى على هذا الموضوع الحق وتضع أيدينا بسرعة على اليقين قوله سبحانه وتعالى للخاتم ﷺ.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ (١).

ولا خفاء من أن الرسول ﷺ لو كان كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية "وتخفى فى نفسك ما الله مبديه.....الآية

ثالثا: ما يتعلق بالفتوى

فقد أجمعت الأمة على أنه لا يجوز تعمد الخطأ عليهم "صلوات الله عليهم أجمعين".

والسؤال الذي يمس هذا الحديث هو:

هل للأنبياء أن يجتهدوا؟ وهل الخطأ في اجتهادهم قادح في عصمتهم ؟

وقبل الإجابة على السؤال نذكر النقطة المهمة التي تضئ الطريق في كل عملية فكرية يسير فيها العقل وهي معنى الإجتهاد لغة واصطلاحاً.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧

والاجتهاد في اللغة : (جَـهْدًا فـى الأمـرِ جَـهْداً : جَد و- طلب حتى وصل إلى الغاية)[١]

وفي الاصطلاح الفقهاء: هو بذل الوسع في تحصيل الأحكـام الشـرعية العلمية الظنية من أدلتها التفصيلية[٢].

وها هنا في مجال الإجابة على السؤال السالف الذكر نجد الفرصة مواتية في تفسير اجتهاد الأنبياء على أنه هو القياس لأن معرفة المراد من النصـوص الشرعية واضح للرسل عليهم السلام فلا اجتهاد لهم فيـه، وتمهيـداً للوضـوح الفكري الذي نبتغيه نقول عن جواز الاجتهاد

للنبي : اختلف العلماء إلى مذهبين .

مذهب الجمهور: وهو جواز الاجتهاد للنبي فيما لم ينزل فيه وحي ولهم على هذا أدلة.

١- قول الله تعالى ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[٣] فإنه أمر عام لأولـى الأبصار بالقياس ، وقد كان ﷺ أكمل الناس بصيرة وعقلا فيكون مأمورا به.

٢- أن النبي ﷺ إذا علم أن علة الحكم المنصوص عليه موجودة في محل آخر رجح عنده أن حكمه كحكم محل النص والعمل بالراجح واجب باتفاق.

٣- أن الاجتهاد فضيلة، لما فيه من المشقة، وكمال التفكير، والدلالة على الفطانة ، وكثرة الثواب، فلا يجوز خلو النبـي منهـا، لأنـه جـامع لأنـواع الفضائل[٤].

---

(١) المعجم الوجيز. باب الجيم. فصل الهاء ص ١٢٢

(٢) مختصر صفوة البيان في شرح منهاج الوصول ج٣ ص٨٤.

(٣) سورة الحشر آية ٢.

(٤) مختصر صفوة البيان في شرح منهاج الوصول للشيخ يس سويلم طه ج٣ ص٨٩.

Scanned with CamScanner

المذهب الثاني :

يرى عدم جواز الاجتهاد للنبي ﷺ وهو لأبي علي الجبائي ، وابنه أبي هاشم ، وابن حزم ، واستندوا إلى ما يأتي :

١- قول الله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾[١] فإنه نفى عن الرسول ﷺ أن يقول قولاً صادراً عن الهوي - أي عن غير الوحي - والقول بالاجتهاد قول بغير الوحي فيكون منفيا عن الرسول ﷺ.

٢- إنه ﷺ كان ينتظر الوحي في بعض ما يحدث من الوقائع وفي بعض ما يوجه إليه من أسئلة، فلو جاز له الاجتهاد لما انتظر الوحي ليبين له الواقعة، أو ليجيب له عن الأسئلة.

٣- إن مخالفة الرسول ﷺ لا تجوز، ولو جاز له الاجتهاد لجازت مخالفته، لانه يجوز مخالفة الاجتهاد[٢].

ويرى العلماء أن مذهب الجمهور في القول بجواز الاجتهاد للرسول هو الراجح وعللوا النقاط الثلاثة التي ارتكز عليها الجبائي وابنه وابن حزم بما يلي:-

الأولى:- بأن الآية ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ رد لما كان يقوله الكفار في القرآن من أنه افتراء فتكون خاصة بالقرآن ولو سلم عمومها، وأنها ليست خاصة بالقرآن، فالاجتهاد مأمور به، فلم يكن العمل به نطقا عن الهوى[٣].

وأما النقطة الثانية الخاصة بانتظاره ﷺ للوحي فقد عللها العلماء (بأن انتظار الرسول ﷺ كان للتأكيد من عدم نزول النص، أو لأنه لا يجد في

---

(١) سورة النجم آية ٣.

(٢) مختصر صفوة البيان في شرح منهاج الوصول ج٣ ص٨٩.

(٣) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النجا ص١٥٤.

المنصوص عليه أصلاً يقيس عليه)[١].

وأما النقطة الثالثة الخاصة بأنه ﷺ لا تجوز مخالفته ولو جاز له الاجتهاد لجازت مخالفته ... فسوف نتمثل المسألة بكل توسعها ولن نكتفي بتناولها من جانب واحد ونأمل أن نصل بالتأمل فيها إلى الرأي الراجح.

وعن وقوع حوادث اجتهد فيها الرسول ﷺ فقد سجل القرآن الكريم طرفا منها وعاتب الله تعالى بنيه ﷺ على الخطأ فيها.

ولقد إرتأى فريق من العلماء – الذين يؤيدون رأي الجمهور – أنه لا مناص من القول (بأن الوقوع – الاجتهاد – أقوى أدلة الجواز)[٢].

وإرتأى الفريق الآخر (أن عتاب الله تعالى لنبيه ﷺ بعد الاجتهاد يرجح جواز خطأ الرسول ﷺ في اجتهاده إذ لو لم يخطئ لما عاتبه)[٣].

والظاهر أن القضية أعقد من أن نتسرع برأي فيها لأن النتيجة أشد أهمية لذا كان استعراض حوادث الاجتهاد أعظم حتى نكون على بينة من الحكم.

وعن هذه الوقائع يقول المجوزون لخطئه ﷺ أذن الرسول ﷺ لقوم من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك لما اعتذروا، وتعللوا بأكاذيب. ونزل قوله تعالى :

﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [٤] .

(فعتاب الله تعالى لنبيه ﷺ دليل على وقوع الخطأ في اجتهاده ﷺ وليس على

---

(١) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النجا ص١٠٣.

(٢) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النجا ص١٠٤.

(٣) المرجع نفسه ص١٠٤.

(٤) سورة التوبة آية ٤٣.

الإصابة فيه)[١]

وأيضا أخذ الفداء من أسرى بدر حين استشار أصحابه وأخذ برأي أبي بكر. ونزل قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢] .

(فعتاب الله تعالى لنبيه ﷺ على أخذ الفداء من الأسرى يدل على وقوع الاجتهاد والخطأ فيه)[٣]

وبعد معرفة حجج الفريقين والتي كانت على جانب كبير من الأهمية نقول:

" الأفكار التي نقر بحجيتها هي جواز اجتهاد الرسول ﷺ، وجواز الخطأ في، بعض اجتهاداته. يؤيدنا فيما ذهبنا إليه الحافظ بن كثير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٤] .

يقول الإمام الحافظ : (وقوله : ﴿ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ أحتج به من ذهب من علماء الأصول إلى أنه ﷺ له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآية وبما ثبت في الصحيحين عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة.عن أم سلمة. أن رسول الله ﷺ سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال :" **ألا إنما أنا بشر وإنما أقضى بنحو ما أسمع ولعل**

---

(١) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النجا ص ١٥٠.

(٢) سورة الأنفال آية ٦٧ ، ٦٨ .

(٣) أصول الفقه للشيخ محمد أبو النجا ص ١٠٥.

(٤) سورة النساء آية ١٠٥، ١٠٦.

Scanned with CamScanner

أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها") (١).

والخطأ في الاجتهاد لا يقدح في عصمة رسول ﷺ لأننا يجب أن نستخلص من خطأ الرسول ﷺ في اجتهاده وتصحيح الله له أن الرسول لا يخرج عن حدود بشريته ليتم البرهان على أن الرسول ما هو إلا مبلغ عن الله تعالى وأن له الكمال البشري لا الكمال المطلق الذي لله تعالى، والخطأ في إجتهادهﷺ له مرجعيته التى تحميه وهى " الوحى المعصوم " وإثبات أن وظيفة الرسل هي التبليغ معناها أن الشرع لله لذا يبدو لنا خطأ القائلين بالمسيحية لأن الدين لا ينسب للرسول فلا نقول المحمدية وإنما ينسب الدين لله تعالى ويسمى بما سماه به الله تعالى والدين من لدن أدم ــ عليه السلام ــ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هو الإسلام.

قال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (٢).

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣).

رابعا: ما يتعلق بأفعالهم وأحوالهم

هذه القضية بحاجة إلى المزيد من الشرح لنتبين في وضوح ماذا نعنى بعصمة الأنبياء في أفعالهم وأحوالهم، وهل العصمة بالنسبة للأنبياء والرسل تعنى واجبة عليهم من أول العمر إلى نهايته أم أنها تكون واجبة في زمن النبوة فقط ؟. وحاجة القضية إلى الشرح والتحليل والتعليل يرجع أيضا إلى اختلاف

---

(١) تفسير بن كثير. المجلد الأول . الجزء الخامس ص٤٨٩ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

العلماء في القضية.

فالشيعة أدركت بعقلها وقلبها أن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم" لا يجوز عليهم الكبيرة ولا الصغيرة لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو والنسيان"[١].

وفريق آخر من علماء التوحيد ارتأى"وجوب هذه العصمة من أول الولادة إلى آخر العمر"[٢].

وفريق ثالث ارتأى أن "هذه العصمة إنما تجب في زمن النبوة. فأما قبلها فهي غير واجبة"[٣].

والذي نريد للباحثين أن يخرجوا به من هذا كله ليرسخ في أذهانهم رسوخاً ثابتاً هو " أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين :

أولاً : معصومون من الكفر مطلقاً أعني قبل البعثة وبعدها .

ثانياً : معصومون من الكبائر مطلقاً – قبل البعثة وبعدها .

ثالثاً : معصومون من الكذب والخيانة مطلقاً قبل البعثة وبعدها .

رابعاً : معصومون من العيوب الخِلقيَّة والخُلُقية قبل البعثة وبعدها.

خامساً : معصومون من الذنوب قبل البعثة وبعدها .

هذه هي القواعد المتينة والمبادئ الثابتة العامة في القول بعصمة الأنبياء والمرسلين .

ومما لا شك فيه أنه يجوز عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين :

---

(١) عصمة الأنبياء للرازي ص٣.

(٢) عصمة الأنبياء للرازي ص٣.

(٣) المرجع السابق ص٣.

Scanned with CamScanner

أولا: السهو أو النسيان يحكم بشريتهم في غير ما يتعلق بالتبليغ أو التشر . كما ذكرنا في مناسبات سابقة حديث " ذي اليدين " وحديث " إنما أنسى لأسن

ثانياً : الخطأ في الرأي والاجتهاد في غير ما يتصل بالتبليغ أو التشريع .

وقيل بجواز الخطأ في الرأي والاجتهاد فيما يتصل بالتشريع أو التبليغ قبل نزول الوحي وهذا الخطأ يسدده الوحي ويصوبه .

ثالثاً : من جوزوا وقوع الصغائر منهم قبل البعثة أو بعدها في غيـــر مـ يتصل بالتبليغ أو التشريع بشرط عدم الإصرار عليها – الخوارج – فقد قالوا ذلك بمعنى احتمالي وهو خطأ نستبعده في القول بعصمة الأنبياء والمرسلين .

الخاتمة

إنه لمما يميز بحثنا – النبوات – أنه المعول فى معرفة الدين كله ، ولـيس فـى ذلك شك .

وها هنا فى مجال هذا الدين الإسلامى – المعصوم – تجد العقول الفرصة مواتية فى الإجابة على التساؤلات التى لا يجيب عنها إلا وحيٌ عصمه الله تعالى مـن التغيير والتبديل .

ولقد أصاب " سانت هلير " [١] فى تحديد المجموعة الخطيرة من الأسئلة التـى تصدر فى خضم مشاعر وأفكار وانفعالات الأمم . تلك الأسئلة التى احتاجت إلى إجابات ، وجد الجميع أن الفلسفات أعجز من أن تستوعبها . لـذا بـدا لهـم أن إجابات الفلسفات عن هذه الأسئلة ماتت ودفنت فـى مهـدها . لأن التصـورات القبلية والبعدية – من أين ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ – مسـتحيلة بالنسـبة للإنسانية لكنها ميسورة للوحى المعصوم . لذلك فإن كل ما تفرضه الفلسفات من أراء فى هذه القضايا وغيرها لن يكون إلا مجرد احتمال وظن وتخمين لهذا بـدا للعقل الإنسانى مدى احتياجه للوحى المعصوم . ولهذا لمست الإنسانية فى الوحى المعصوم أجمل معانى الحياة وأجلها أدركته بعقلها ، وعاشته بقلبها . ويكفى أن نعرف إجمالا أن الوحى المعصوم – الإسـلام – هـو: **عقيدة الإنسـانية ، وشريعتـها ، وعباداتـها ، ومعاملاتـها ، وأدابـها ، وسلوكـها** ورسـل الله وأنبيائه هم الذين بذلوا كل ما استطاعوا بذله من أجل توجيه الفكر الإنسانى إلى مبدع الكل ومفيض الخير على الوجود .

---

(١) يقول الرجل (هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدءا ؟ كيف ينتهيان ؟ ... هل يوجـد بعد هذه الحياة شئ ... ؟

انظر : الدين للدكتور دراز صـ ٨٣

قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾(١)

والإنسانية وهى تتلمس مع أنبياء الله ورسله السبيل القويم مر . صى صور ماضيها إلى حاضرها الذى نحن فيه . ترى أن من يسب أنبياء الله ورسله مخلوقاً جافاً تافهاً .

ولما كان من واجبنا أن نعرف الناس جميعاً ما يقتضيه الإيمان بأنبياء الله ورسله . على أن هذا الذى سنذكره سيكون موضع قبول عند جميع العقلاء لأنه مستمد من الوحي المعصوم .

قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾(٢)

ولهذا يبدو التمايز واضحاً بين الإسلام المعصوم وغيره من الديانات التى اعتراها التحريف والتبديل .

وخلاصة الأمر فى قضية النبوات أن نلتقى جميعاً على القضايا الآتية :

أولاً :- وجوب الإيمان بأن الله تعالى أرسل للإنسانية رسلاً وأنبياء

﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٣)

قال تعالى ﴿ وإن أمة إلا خلا فيها نذير ﴾(٤)

وقال تعالى ﴿ ولكل أمة رسول ﴾(٥)

---

(١) سورة الذاريات : آية ٥٦
(٢) سورة آل عمران : آية ٨٥
(٣) سورة النساء : آية ١٦٥
(٤) سورة فاطر : آية ٢٤
(٥) سورة يونس : آية ٤٧
(٦) سورة الرعد : آية ٧

وقال تعالى ﴿ ولكل قوم هاد ﴾(٢)

ثانياً :- يجب الإيمان بمن ورد ذكرهم فى القرآن الكريم تفصيلاً وهم خمسة وعشرون :

١- أدم ٢- إدريس ٣- نوح ٤- هود
٥- صالح ٦- إبراهيم ٧- لوط ٨- إسماعيل
٩- إسحاق ١٠- يعقوب ١١- يوسف ١٢- شعيب
١٣- أيوب ١٤- ذو الكفل ١٥- موسى ١٦- هارون
١٧- داود ١٨- سليمان ١٩- إلياس ٢٠- إليسع
٢١ - يونس ٢٢- زكريا ٢٣- يحى ٢٤- عيسى
٢٥- محمد : صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ثالثاً :- يجب الإيمان بهم " صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " دون تفريق بين أحد من رسله .

قال تعالى : ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٤)

رابعاً :- يجب الإيمان ببشريتهم " صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين "

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾(٥)

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٥
(٢) سورة النساء : آية ١٥٠ : ١٥١
(٣) سورة الكهف : آية ١١٠
(٤) سورة الأنبياء : آية ٧

Scanned with CamScanner

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا إلا رجالا نوحى إليهم ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ ﴾(٢)

خامساً :- يجب الإيمان بأنهم " صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " لا يعلمون الغيب ، وإنما الغيب يعلمه الله وحده .

قال تعالى :

﴿ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾(٣)

وقال تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾(٤)

سادساً :- يجب الإيمان بعصمتهم وبأنهم " صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " القدوة والأسوة للإنسانية جميعاً.

قال تعالى :

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾(٥)

وقال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾(٦)

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ

---

(١) سورة إبراهيم : آية ١١

(٢) سورة النمل : آية ٦٥

(٣) سورة الأعراف : آية ١٨٨

(٤) سورة الأنعام : آية ٩٠

(٥) سورة الأنبياء : آية ٧٣

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١)

سابعاً :- الإيمان بوجوب كل كمال بشرى لهم " صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " وتنزيههم عن كل نقص لا يليق بهم " صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين " وقد دللنا على ذلك فى أكثر من موضع .

ثامناً :- يجب الإيمان بختم الأنبياء برسول الله " محمد " ﷺ وختم الرسالات برسالة - الإسلام - وعموم رسالته ﷺ

قال تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾(٢)

وقال تعالى :﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾(٤)

وأخيراً : تلك كلمات موجزة ضمت ما حفلت به الدراسة من موضوعات وتضمنته من أفكار ، وما انتهت إليه من أحكام وما وقفت عليه من نتائج وفقت إليها .

وما توفيقى إلاَّ بالله . نسأله النفع بها والإفادة منها ، والثواب عليها ، بقدر الجهد فيها والإخلاص لها . إنه مجيب الدعوات رب العالمين .

انتهى

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٢١ (٢) سورة الأحزاب : آية ٤

(٣) سورة المائدة : آية ٣ (٤) سورة الأنبياء : آية ١٠٧

Scanned with CamScanner

قائمة بأهم المراجع والمصادر

القرآن الكريم — الحديث الشريف

(١) أم البراهين الكبرى ، أبي عبد الله محمد يوسف السنوسي الحسنى طبع عام ١٣٥٤هـ بمصر.

(٢) ابن سينا بين الدين و الفلسفة للأستاذ الدكتور حمودة غرابة طبعة مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٢م.

(٣) المختار في شرح الباجوري على الجوهرة المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد المقرر على المرحلة الثانوية الأزهرية الطبعة سنة ١٤١٣هـ سنة ١٩٩٤م.

(٤) المواقف للإيجي "عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد اليجي نشر عالم الكتب بيروت.

(٥) الدين : للدكتور . عبد الله دراز . طبعة القاهرة ١٩٦٩م

(٦) التعريفات للجرجاني الطبعة الأولى طبعة مكتبة الحلبي وشركاه سنة ١٩٨٣م.

(٧) القاموس المحيط تصنيف أمام أهل اللغة مجد الدين محمد بن يعقوب القيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ ضبط وتوثيق يوسف الشيم طبعة دار الفكر سنة ١٤١٥هـ سنة ١٩٩٥م.

(٨) المعجم الوجيز تأليف مجمع اللغة العربية . طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم سنة ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م

(٩) ارجوزة جوهرة التوحيد تأليف الإمام إبراهيم اللقانى مع شرحها.تحفة المريد على جوهرة التوحيد لإمام إبراهيم الباجورى . تقديم وتعليق لجنة

Scanned with CamScanner

العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر القسم الثانى سنة ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦ .

(١٠) أصول التشريع الإسلامي تأليف الأستاذ على حسب الله الطبعة السادسة القاهرة عام ١٤٠٢هـ، عام ١٩٨٢م.

(١١) لسان العرب، لابن منظور "جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري" طبعة بيروت سنة ١٣٧٥هـ، سنة ١٩٦٥م.

(١٢) الرسالة القشرية للإمام أبي القاسم عبد الكريم القشيري تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود داشيز محمود بن الشريف ط دار الكتب الحديثة مطبعة حسا سنة ١٩٧٤م.

(١٣) المستصفى من علم الأصول . تأليف . أبو حامد الغزالى " جزءان . طبعة دار الفكر . بيروت

(١٤) الموفقات فى أصول الأحكام . تاليف أبى إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبى الطبعة الأولى ١٣٤١ هـ

(١٥) تقريب المرام للشيخ عبد القادر بن محمد سعيد بن أحمد في شرح تهذيب الكلام للإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني القسم الثاني مقرر على طلبة السنة الثانية جامعة الأزهر سنة ٢٠٠٦م.

(١٦) تفسير الشيخ الشعراوى المسجل على شرائط فيديو (نعتبره مصدرا. وما كتب عن تفسيره نعتبره مرجعا . فتدبر الفرق بين المرجع والمصدر)

(١٧) تفسير الإمام الطبرى : المسمى . جامع البيان فى تأويل القرآن للعلامة إبن جرير الطبرى . ضبط وتوثيق وتخريج صدقى جميل العطار . طبعة دار الفكر . بيروت . لبنان ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م

(١٨) تفسير القرطبي لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري.الوطي طبعة دار الريان للتراث القاهرة، بدون تاريخ.

Scanned with CamScanner

(١٩) تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ بن كثير . طبعة منقحة ومراجعة . الطبعة الأولى . المكتبة العصرية . بيروت لبنان سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧ م

(٢٠) تيسير القواعد المنطقية على شرح الرسالة الشمسية " جزءان " تأليف الأستاذ الدكتور محمد شمس الدين إبراهيم سالم . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م

(٢١) حاشية الشيخ عبد الله الشرقاوي على شرح الهدهدي على السونسية طبعة أولى بمصر سنة ١٣١١هـ.

(٢٢) حاشية الدسوقى على شرح أم البراهين الصغرى للإمام محمد السنوسي الطبعة الثانية بمصر نشر المكتبة الأزهرية

(٢٣) دراسات فى العقيدة والتوحيد . القسم الثالث . فى النبوات تأليف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن محمد المراكبى طبع مطبعة الشمس شبين الكوم

(٢٤) رسالة التوحيد للإمام محمد عبده الطبعه السادسة القاهرة .

(٢٥) حاشية الصاوى على شرح الخريدة تأليف أحمد الدردير ى . مطبعة حجازى القاهرة ١٢٢٨ هـ

(٢٦) شرح مطالع النظار على طوالع الأنوار. شمس الدين بن محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى عام ٧٤٩هـ طبغة أول بمصر سنة ١٣٢٣هـ.

(٢٧) شرح الأصول الخمسة . للقاضى عبد الجبار بن أحمد " قاضى القضاة . تحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان . طبعة القاهرة ١٩٦٥ م

(٢٨) جريدة صوت الأزهر العدد : ٤ من شهر شوال سنة ١٤٢٧ هـ . ٢٧ من أكتوبر سنة ٢٠٠٦ م

Scanned with CamScanner

(٢٩) عصمة الأنبياء . تاليف الإمام فخرالدين الرازى الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥ هـ طبع إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقى .

(٣٠) فى تحديث الثقافة العربية ٢٤ اللغة هذا المخلوق العجيب ! ١ مقالة للإستاذ الدكتور زكى نجيب محمود . جريدة الأهرام المصرية ص ١٣ بتاريخ ١٩٨٧/٣/١٠

(٣١) مفتاح الوصول إلى علم الأصول تأليف أبى عبد الله أحمد المالكى التلمسانى طبعة تونس .

(٣٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن تأليف الأستاذ . عبد العظيم الزرقانى طبعة دار إحياء الكتب .

(٣٣) نسيم الرياض . شرح الشفاء للإمام احمد شهاب الدين الخفاجى طبع المطبعة الأزهرية المصرية